المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

المؤتمر الدولي حول الإسلام والسلام
المحور الثاني (الإسلام والسلام الفكري)
الموضوع: (الإسلام والجدل السلمي مع غير المسلمين)

د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي
أستاذ مشارك : عقيدة ومذاهب معاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه المبين: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣] والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الدعاة وخاتم النبيين الذي أرسله الله – تعالى- داعياً إلى الله بإذنه فقال في حقه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) [الأحزاب: ٤٥-٤٦] ورضي الله عن الصحابة والتابعين، الذين دعوا بدعوته، ونصحوا بنصيحته، واهتدوا بهديه، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فقد اشتدت الحاجة اليوم إلى الكتابة في موضوع (الإسلام والجدل السلمي مع غير المسلمين) تعريفاً للناس به، وتقريباً لموضوعاته ومضامينه، وكلما كان الأمر أبعد عن حياة الناس، وأكثر تنوعاً في موضوعاته كانت الحاجة إلى البحث والكتابة فيه أكثر وأكبر، فليس الجدل السلمي مع غير المسلمين حركة تلقائية عفوية، ولا مجرد وعظ للناس، وتذكير بفضائل الإسلام وآدابه فحسب -كما يفهمها كثير من المسلمين، ويمارسها عدد من الدعاة في العصور المتأخرة- وإنما هو حركة علمية وعملية، تتميز في مبادئها وأهدافها، ومصادرها، وترتكز على أسس وقواعد علمية مدروسة، وتنضبط بضوابط شرعية محدودة، فيختار لها أقوم المناهج، وأحكم الأساليب، وأفضل الوسائل، إذ هو عمل صفوة الخلق سيدنا محمد – عليه الصلاة والسلام- وعمل من سبقه من رسل كرام – عليهم الصلاة والسلام- ، وعمل من تبعهم على هدى وبصيرة، ومن هذا المنطلق، ولكون موضوع (الإسلام والجدل السلمي مع غير المسلمين) من أخطر المواضيع، وذلك لتعدد الوجهات، والأنظار والأفكار والمعتقدات حوله تتضح أهمية الموضوع وبالله التوفيق.

أسباب اختيار ا لموضوع:

١. بيان خطورة بعض الوسائل التي يستخدمها بعض الدعاة.

٢. اختلاط المنهج الحق بالمناهج الباطلة لدى بعض الدعاة.

٣. بيان تعدد الوسائل والأساليب للجدل السلمي مع غير المسلمين وفقاً للزمان والمكان والأفراد.

الهدف من البحث: بيان أقوم المناهج، وأحكم الأساليب، وأفضل الوسائل في عملية الجدل السلمي مع غير المسلمين.

المحتويات: يحتوي البحث على مقدمة وأهمية الموضوع وأسباب اختياره والهدف من البحث وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس.

المبحث الأول: الجدل السلمي وبعض مظاهره وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأساليب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الجدل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الجدل السلمي في إثبات وجود الله – تعالى –.

المطلب الرابع: الجدل السلمي في إثبات الرسالات.

المطلب الخامس: الجدل السلمي في إثبات البعث.

المطلب السادس: الجدل السلمي في إثبات التشريعات.

المطلب السابع: الجدل السلمي في نسخ الأحكام.

المطلب الثامن: الجدل السلمي في التحليل والتحريم.

المبحث الثاني: قواعد الجدل السلمي وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: إخلاص النية لله – تعالى – .

المطلب الثاني: العلم النافع.

المطلب الثالث: الاعتراف بالآخر واحترامه.

المطلب الرابع: التجرد لطلب الحق.

المطلب الخامس: تحديد موضوع الجدل وهدفه.

المطلب السادس: الاتفاق على أصول مرجعية للجدال.

المطلب السابع: الانطلاق في الجدال من نقاط الاتفاق.

المطلب الثامن: عدم التناقض.

المطلب التاسع: سلوك الطرق العلمية والتزامها.

المبحث الثالث: قيم الجدال وآدابه وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الرفق واللين.

المطلب الثاني: عفة اللسان.

المطلب الثالث: الهدوء والسكينة.

المطلب الرابع: اجتناب رفع الصوت.

المطلب الخامس: حسن الاستماع.

المطالب السادس: اجتناب المراء.

المطلب السابع: التواضع.

المطلب الثامن: الصدق.

المطلب التاسع: الأمانة.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهرس

منهج البحث: اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الآتي:

١. الاعتماد بعد التوكل على الله – تعالى- على المنهج الاستقرائي قدر الاستطاعة في جمع المادة العلمية مع المنهج الموضوعي لملائمته لمفردات البحث.

٢. إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، إذ المقصود معرفة صحته، أما إذا كان في غيرهما فقد اذكر أكثر من مصدر.

٣. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٤. عزو الحديث يكون بالكتاب والباب والجزء والصفحة، أو رقم الحديث على حسب المصدر المنقول منه.

٥. القيام بشرح الألفاظ الغريبة.

٦. ذكر بيانات المصدر أو المرجع كاملة في فهرس المصادر والمراجع (اسم الكتاب – اسم المحقق أو المصحح أو المعلق أو المقدم إن وجد – دار النشر- بلد النشر- رقم الطبعة- تاريخ الطبعة) وإذا لم توجد جميع هذه المعلومات فالاكتفاء بما وجد.

٧. تذييل البحث بفهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

المبحث الأول: الجدل السلمي وبعض مظاهره وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأساليب لغة واصطلاحاً:

الأساليب لغة: جمع أسلوب وهو الطريق, وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، أي طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته ومنهجه،[١] والأساليب الفنون المختلفة، يقال: أخذنا في أساليب من القول : أي فنوناً متنوعة ، فكلمة الأساليب في اللغة تطلق على: المذهب، والطرق، والفنون، والجهات[٢].

الأساليب في الاصطلاح: عُرفت الأساليب بعدد من التعاريف منها:

١. هي الطرق التي يسلكها الناصح في نصحه، أو كيفيات تطبيق مناهج النصيحة أو الدعوة.

٢. هي الطريقة التي يسلكها الناصح إلى الله تعالى في نصحه حسب التيسير والنفع.

٣. هي الأداء القولي والفعلي الذي يستخدمه الناصح في دعوته سواءً ظهرت فيه حكمة القول والفعل، أو غلب عليه جانب الموعظة والإرشاد، أو أدرج فيه أسلوب الجدل، والمناظرة، أو القدوة الحسنة، أو الرد على الشبهات، إلى غير ذلك مما هو معلوم عند أهل هذا العلم[٣].

فالمراد من أساليب النصيحة: هي الأساليب التي سار عليها الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – في دعوتهم كما جاء في القرآن الكريم، وهي نفس الأساليب التي أمر الله – عز وجل– بها نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – أن يسلكها في دعوته لقومه، فقد أمره باتباع إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ثم وضح الشيء الذي أمره باتباعه فيه، وفي دعوة الناس إلى الدين بأحد الأساليب والطرق الثلاثة[٤] فقال الله – تعالى- : (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل: ١٢٣] ثم قال: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥]

---

(١) المعجم الوسيط (٤٣٣/١)، لسان العرب (٤٧٣/١)

(٢) لسان العرب (٤٧٤/١) ، والقاموس المحيط (١/ ١٢٥) ، ومفردات ألفاظ القران (٤١٩) ، والمعجم الوسيط (٤٤١/١)

(٣) منهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله (١٣)

(٤) التفسير الكبير (١١١/٢٠) ، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٢١/١٤)، ورسالة فتح الأسماع في شرح السماع (٤٦).

ولاشتراك كل من المنهج والأسلوب في المعنى اللغوي وهو الطريق ، يبرز الترابط الوثيق بين المناهج والأساليب من جهة ، كما تبرز الدقة في التقريب بينهما من جهة أخرى: فالمناهج الوعظية أو المناهج للنصيحة: هي النظم والخطط ، والأساليب هي كيفيات وطريق تطبيق تلك النظم والخطط ، ولزيادة التوضيح مثلاً: إذا كانت العبادة في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليبها: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وما إلى ذلك من أشكال تطبيق العبادة، وإذا كان الاقتصاد في الإسلام منهجاً ونظاماً فإن من أساليبه: جميع أشكال التعامل المالي في الإسلام، من البيع ، والصرف، والإجارة ، والرهن، والشركة وما إلى ذلك من أشكال التطبيق، وإذا كان السمع والطاعة في الإسلام منهجاً ونظاماً، فإن من أساليب تطبيقه القيادات الفردية أو الجماعية ، واختيار الإمام وتأمير الأمير في السفر وغيره [١].

المطلب الثاني: تعريف الجدل لغة واصطلاحاً :

الجدال في اللغة: مصدر قولهم: جادله يجادله جدالاً ومجادلة وهو مأخوذ من مادة (ج-د-ل)التي تدل على استخدام الشيء في استرسال يكون فيه امتداد الخصومة ومراجعة الكلام[٢] يقال: جادله أي: ناظره وخاصمه، والاسم من ذلك الجدل، وهو شدة الخصومة، وجدل الحبل: إحكام فتله، يقول الراغب: الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال: الصرع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها[٣]، كما يأتي منه المصدر على جدال ومجادلة ومعناه: المناظرة والمخاصمة، والجدال أيضاً المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، يقول الفيومي: هذا هو الأصل ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، فالجدال في اللغة يدور حول: المفاوضة، والمطالبة، والمغالبة، والإحكام، والصرع، والإسقاط، واللدد في الخصومة والقدرة على الخصومة، والمناظرة، والمخاصمة. والاسترسال، والاستحكام، ومقابلة الحجة بالحجة[٤].

الجدل في الاصطلاح: عُرف الجدل بعدد من التعاريف منها:

١. هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.
٢. هو عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[٥].
٣. التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب[٦].
٤. هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره، والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلاماً فاسداً أو لا[٧].
٥. هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة[٨].

(١) انظر كتاب دراسات في الاختلافات الفقهية، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/٧٧٠)
(٢) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣)
(٣) مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣)، والمفردات (٨٧)، ولسان العرب (١/ ٥٧١)، والصحاح (٤/١٦٥٣)، والمصباح المنير (١/٩٣)
(٤) انظر المصادر السابقة.
(٥) التعريفات (٧٤-٧٥)
(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (١٢٢)
(٧) الكليات (١٥٣، ٨٤٩)
(٨) مفردات ألفاظ القرآن (١٨٩)

فالذي يظهر من المعاني السابقة أن الجدل هو: الخصومة والمنازعة في البيان والكلام، لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم[١].

وقد يكون الجدل محموداً إذا تعلق بإظهار الحق، وقد أمر الله بذلك النبي – عليه الصلاة والسلام- قي قوله سبحانه وتعالى: (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥] ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم وذلك بحسب الغاية منه، وبحسب أسلوبه، وبحسب ما يؤدي إليه، فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب ويؤدي إلى خير فهو (الجدل الممدوح) يقول الله – تعالى- (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا) [العنكبوت: ٤٦] ، والجدل الذي لا يهدف إلى ذلك ولم يسلم أسلوبه من خلل، ولا يؤدي إلى خير فهو (الجدل المذموم) ولذا جاء الأمر به في القرآن الكريم مقيداً بالتي هي أحسن[٢] يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام- (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[٣] أي شديد الخصومة يقول الذهبي- يرحمه الله-: (إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدال في مدافعة الحق، أو كان بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل ننزل النصوص الواردة في إباحته وذمه)[٤].

المطلب الثالث: الجدل السلمي في إثبات وجود الله – تعالى- :

إن قضية وجود الله – تعالى – ووحدانيته حقيقة وفطرة مغروسة في النفس البشرية، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب فنحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت الرسل – عليهم الصلاة والسلام – لأقوامهم: (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) [إبراهيم: ١٠] أي أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة موجودة ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطرة السليمة، ولكن قد تتعرض لأمر طارئ فيحصل لها اضطراب، ، يقول الله – تعالى- : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) إلى قوله (فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٣٠ – ٣٨] فالله – عزوجل – يوضح لنا في هذه الآيات بأن آدم – عليه الصلاة والسلام – وهو أول البشر كان على التوحيد يتبع منهجاً إلهياً منزلاً عليه من ربه – تبارك وتعالى- ثم كلما انحرفت أمة من الأمم عن هذا التوحيد بعث الله إليها رسولاً يدعوها إلى التوحيد وعبادة الله – تعالى- يقول الله – سبحانه - : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٧٢] فهنا يخبرنا الله – عزوجل – أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، وقد وردت الأحاديث من السنة المطهرة في أخذ الذرية من صلب آدم – عليه الصلاة السلام - : (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟

---

(١) مناهج الجدل في القرآن (٢٠)

(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٣ – ٢٣٥)، والرد على المنطقين (٦٤٧ – ٦٤٨)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٤٥)

(٣) البخاري كتاب التفسير – باب قول الله تعالى (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) (٨/ ٨٠)

(٤) الكبائر (٢٢١)

فيقول: نعم فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، فقد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي)[1] فكل مولود يولد في مبدأ الخلق على الفطرة: أي الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات النشوز والتقليد فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره، يقول الله —تعالى - في الحديث القدسي:(خلقت عبادي حنفاء فاجتاثهم الشياطين)[2] ويقول الرسول — عليه الصلاة والسلام-: (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)[3][4] يقول شيخ الإسلام — يرحمه الله - : (ولم يكن الشرك أصلاً في الآدميين، بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله)[5] ولذا نجد أن الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — اتبعوا أسلوب الجدل السلمي مع أقوامهم لإثبات أصول العقائد التي أنكروها، وهي إثبات وجود الله — سبحانه وتعالى — وتوحيده، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، والبعث والجزاء، ومن أمثلة جدال الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام- في إثبات أصول العقائد: الجدال في إثبات وجود الله - سبحانه وتعالى- جدال إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — مع النمرود بن كنعان، الذي حاجه إبراهيم — عليه الصلاة والسلام –، فطلب منه دليلاً على وجود الرب — سبحانه - الذي يدعو إليه، وقد أخبر الله — تعالى — عن ذلك فقال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) [البقرة: ٢٥٨] فجادله إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — واستدل على وجود الله بأنه يحي ويميت، فيهب الحياة لمن يشاء من الأجسام فتنمو وتتحرك وتؤتي ثماراً مادية ومعنوية، ثم ينزع عنها الحياة فتموت وتعود إلى سيرتها الأولى، فقال له كما أخبر الله — تعالى — عنه (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) [البقرة: ٢٥٨] وقد عارضه النمرود بدليل مماثل على الإحياء والإماتة، فقال : (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) [البقرة: ٢٥٨]، فزعم قدرته على ذلك لأنه قد يعفو عمن استحق القتل فيكون قد أحياه، ويعدم من يشاء من الناس فيكون قد أماته، فسلم له إبراهيم — عليه الصلاة والسلام- تسليم المجادل السلمي، وانتقل معه من المثال الذي ذكره وجاءه بأمر بين له فيه أنه إذا كان يدعي بأنه يحي ويميت فالذي يفعل ذلك هو الذي يتصرف في الوجود وفي تسخير كواكبه، فقال له — عليه الصلاة والسلام - : -كما أخبر الله — تعالى- عنه : (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) [البقرة: ٢٥٨] فانقطعت حجة النمرود وسكت عن الجدل متحيراً، ولم يمكنه أن يقول: أنا الآتي بها من المشرق، ولكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمكابرة ومشاغبة،[6] يقول الله — تعالى : (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ٢٥٨] وقد خرج إبراهيم — عليه الصلاة والسلام- من هذا الجدل بالانتصار على الباطل كما اخبر الله — تعالى — فقال: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) [الأنعام: ٨٣] ومن الأدلة التي استدل بها الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام — على وجود الله — تعالى — في جدالهم مع

(١) البخاري كتاب الرقاق — باب صفة أهل الجنة والنار — (٢٦٧/١١) ، ومسلم كتاب المنافقين — باب طلب الكافر الفداء رقم (٢٨٠٥)

(٢) مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها — باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار (١٧/ ١٩٧ — ١٩٨)

(٣) جدعاء: أي مقطوعة الأذن والمعنى أنها تولد لا جدع فيها: لا قطع فيها، إنما يجدعها أهلها بعد ذلك انظر فتح الباري (١٩٥/٣)

(٤) البخاري كتاب الجنائز — باب ما قيل في أولاد المشركين (٣/ ١٩٢-١٩٤)، ومسلم كتاب القدر — باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (١٦/ ٢٠٧)

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠)

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٨٥-٢٨٦)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٤)، وفتح القدير (١/ ٢٧٧)

أقوامهم ما أخبر الله به عن موسى – عليه الصلاة والسلام- أنه ذكر في الجدال معهم باحتجاج نوح وهود وصالح ومن بعدهم من الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- مع أقوامهم بهذا الدليل على وجود الله – تعالى – فقال : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [إبراهيم: ٩–١٠] فقد قالت الرسل – عليهم الصلاة والسلام- لأقوامهم حيث يرشدونهم إلى طريقة معرفة الرب – سبحانه – بأنه (فاطر السموات والأرض) الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال مسبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء والإهه وملكيه، فهل في إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له[1]، ولو كان عند هؤلاء شك في ذلك لأجابوا الرسل – عليهم الصلاة والسلام- فدل ذلك على أذعانهم وإقرارهم بوجود الرب – سبحانه وتعالى-،[2] ومن أمثلة الجدال السلمي ما حصل من هود – عليه الصلاة والسلام- عندما دعا قومه لعبادة الله – تعالى- قائلاً لهم كما أخبر الله – تعالى- عنه: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [الأعراف: ٦٥] فجادله قومه وعارضوه وطعنوا في رجاحة عقله وسفاهته، ولكنه استمر في الجدال معهم وذكر لهم دليلاً على استحقاق الله – تعالى- بالتوحيد وهو النعم التي أنعم بها عليهم، ومع ذلك كفروا وعاندوا، يقول الله – تعالى- : (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأعراف: ٦٩] ولما ذكر لهم – عليه الصلاة والسلام- في جداله معهم هذه الحجة اليقينية لم يكن من القوم جواب عنها إلا التمسك بطريقة التقليد للأباء، وحاولوا قطع جداله – عليه الصلاة والسلام- باستعجالهم للعذاب الذي توعدهم به ، فقالوا كما أخبر الله – تعالى- عنهم: (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف: ٧٠] وهكذا فقد استعجل القوم العذاب فراراً من مواجهة الحق، بل فراراً من تدبر تفاهة الباطل الذي هم له عبيد، مع كونهم من ذراري نوح – عليه الصلاة والسلام- الذين نجوا معه في السفينة، ولا شك أن أبناء هؤلاء المؤمنين الناجين في السفينة كانوا على دين نوح – عليه الصلاة والسلام- وهو الإسلام حيث كانوا يعبدون الله وحده، مالهم من إله غيره، وكانوا يعتقدون أنه رب العالمين، فلما طال عليهم الأمد، وتفرقوا في الأرض ولعب معهم الشيطان لعبة الغواية، وقادهم في شهواتهم وفق الهوى لا وفق شريعة الله، عاد قوم هود – عليه الصلاة والسلام- يستكبرون أن يدعوهم نبيهم إلى عبادة الله وحده من جديد، ولهذا استعجلوا العذاب ومن ثم كان الجواب حاسماً وسريعاً فقد أبلغهم العاقبة التي أنباه بها ربه، والتي حقت عليهم فلم يعد عنها محيص، إنه العذاب الذي استعجلوه، والذي يكشف لهم عن سخافة معتقداتهم وتصوراتهم حيث إن ما تعبدون من دون الله ليس له شيئاً ذا حقيقة إنها مجرد أسماء أطلقتموها أنتم وآبائكم، من عند أنفسكم، لم يشرعها الله ولم يأذن بها، فمالها إذن من سلطان ولا لكم عليها من برهان، يقول الله – تعالى- عن هلاكهم: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٧٧) .

(٢)إن المقر بتوحيد الربوبية يلزمه الإقرار بتوحيد الألوهية ولذلك قال علماء التوحيد: إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، انظر كتاب التوحيد لمختار (١٠ – ٣٠)

عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) [الحاقة: ٦-٨] ويقول: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) [الفجر: ٦-١٤] وبنزول العذاب عليهم أثبت لهم وجود الله — سبحانه وتعالى- ومن الجدال السلمي إن الله — تعالى- أمر النبي محمداً — عليه الصلاة والسلام — أن يجادل مشركي قريش الذين كانوا يعبدون الآلهة المتعددة من الأصنام والكواكب والجن والملائكة، وأن يبين لهم بالحجة والبرهان بطلان عبادتهم لتلك الآلهة، ومن ذلك قوله — تعالى- آمراَ لنبيه — عليه الصلاة والسلام- : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف: ٤] فالمشركون الذين كانوا يعبدون الأصنام كانوا لزاماً عليهم أن يبرهنوا على عبادتهم لها بأمرين جاء في جدال القرآن لهم واستجوابهم وهما: هل يعقل أن يضاف إليها خلق جزء من أجزاء هذا العالم؟ وبما أنهم لم يدعوا لهذه الأصنام خلق شيء من العالم، فقد انتفى عنهم ذلك جملة وتفصيلاً، وهل يجوز أن يقال إنها أعانت إله العالم في خلق جزء من أجزاء هذا العالم؟ ولما كان صريح العقل حاكماً بأنه لا يجوز إسناد خلق جزء من أجزاء هذا العالم إليها، وإن كان ذلك الجزء أقل الأجزاء، ولا يجوز أيضاً إسناد الإعادة إليها في أقل الأفعال وأذلها، فحينئذ صح أن الخالق الحقيقي لهذا العالم هو الله — سبحانه وتعالى- ، وهو المنعم الحقيقي بجميع أقسام النعم هو الله — تعالى- فلما كان الخالق الحق والمنعم الحقيقي هو الله — عزوجل — وجب عبادته وحده دون سواه، وإذا كانوا يدعون أن الله أمرهم بعبادتها، ويقولون: إنا لا نعبدها لأنها تستحق هذه العبادة ، بل إنما نعبدها لأجل أن الإله الخالق المنعم أمرنا بعبادتها، فعند هذا ذكر الله — تعالى — لهم ما يجري مجرى الجواب عن هذا السؤال فقال: (اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف: ٤]، وتقرير هذا الجواب : أن ورود هذا الأمر لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي والرسالة فيقول هذا الوحي الدال على الأمر بعبادة هذه الأوثان، إما أن يكون على محمد أو في سائر الكتب الإلهية المنزلة على سائر الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام- وإن لم يوجد ذلك في الكتب الإلهية لكنه من تقابل العلوم المنقولة عنهم والكل باطل، لأنه علم بالتواتر الضروري بإطباق جميع الكتب الإلهية على المنع من عبادة الأصنام، كما قال الله — تعالى- : (اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) [الأحقاف: ٤] وأما إثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الأنبياء سوى ما جاء في الكتب فهذا أيضا باطل، لأن العلم الضروري حاصل بأن أحداً من الأنبياء ما دعا إلى عبادة الأصنام، ولذلك يقول الله— تعالى- : (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف:٤] ولما بطل الكل ثبت أن الاشتغال بعبادة الأصنام وغيرها عمل باطل وقول فاسد[١] وبذلك يتضح منهج[٢] الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام- في دعوة أقوامهم لإثبات وجود الله — تعالى- ووحدانيته، فلذا فإنه يجب على الدعاة الاقتداء بهم في وعظهم لأقوامهم بتوحيد الله — عزوجل- والتعريف به، وذلك لأهميته الكبرى في

(١) التفسير الكبير (٢٨/ ٤-٥) — أساليب الدعوة المعاصرة (٥٨٦)

(٢) لفظة المنهج مأخوذة من النهج، وهو الوضوح والاستبانة والاستقامة في الطريق، نقول: نهج الطريق: فعل لازم بمعنى استقام ووضح واستبان، وهو عام في كل مسلك وليس خاصاً بالطريق المادي ولهذا ورد في القرآن الكريم : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: ١٤٨]، واستخدمت اللفظة في الخطة المرسومة ، أو المسلوكة في الدراسة والتعليم، فقيل: منهاج الدراسة، ومناهج التعليم، ومنهج البحث العلمي، وإذا كان منهج التعليم الذي هو : مجموعة من المواد الدراسية والخبرات العلمية الموضوعة لتحقيق أهدف التربية، فليس المقصود هنا في البحث، وإنما المراد بالمنهج القواعد العلمية التي يؤخذ بها لمعرفة الحقيقة. انظر المعجم الوسيط (٢/ ٩٦٦)، والمعجم الفلسفي (٢/٤٣٥)، ومناهج البحث العلمي (٢)

استجابة المدعوين، إذ أن النفوس متى عرفت ربها، وخالقها وتأصل ذلك فيها عملت على ترك عبادة غيره، وتطبيق شرعه، والتجأت إليه في جميع شئون الحياة[١] وزماننا اليوم يشهد كثرة المناهج الدعوية والتربوية، التي تختلف أهدافها ووسائلها، ويبذل الكثير من الجهد والمال من أجل الإصلاح وجمع كلمة الناس تحت فكر وثقافة واحدة، ولكنها لم تحقق أهدافها الحقيقية بل نتج عنها الاختلاف، والتعصب، والتطرف والغلو، والبعد عن النهج القويم، وما ذلك إلا لأن هذه المناهج، وتلك الدعوات لم تقم على النهج الصحيح الذي سار عليه الأنبياء والرسل– عليهم الصلاة والسلام– من استخدامهم الجدال السلمي في دعوة أقوامهم إلى التوحيد الذي هو المنطق المتين لإصلاح الناس ونشر الخير بينهم[٢]، ولذا فإنه يجب على الناصح أو الداعي إلى الله – تعالى – أن يستخدم الأساليب بأشكالها المتنوعة بما يلائم حال المدعوين، فبعضها ما يلامس عقل المدعو، ويحرك فكره، ويدعو إلى التدبر والاعتبار ويعد ركيزة من ركائز المنهج العقلي[٣] كأسلوب المجادلة بالحسنى، ومنها ما يلامس الحس الحسي[٤]، كأسلوب القدوة الحسنة[٥]، فالناصح الحكيم هو الذي يختار الشكل المناسب من أشكال الأساليب المتنوعة للمناهج المتعددة، فيلبي في جداله متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها، وهذا ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبذلك يستجيب المدعون إلى الحق والصواب.

المطلب الرابع: الجدال السلمي في إثبات الرسالات:

إن موقف أهل الأهواء من ركن الإيمان بالرسل موقف متناقض، فمنهم الغالي ومنهم الجافي، فإن الغلاة الذين أنزلوهم فوق منازلهم التي أنزلهم الله إياها فعبدوهم من دون الله كاليهود[٦] الذين جعلوا عزيز ابن الله، والنصارى جعلوا عيسى ابن الله، وحذا حذوهم بعض الفرق الضالة كالشيعة، والصوفية، وبعض الأشاعرة، وقلما تجد فرقة إلا وتجد فيها هذه الصفة من عبادة الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– وخاصة الرسول –عليه الصلاة والسلام – وما يوجه إليه من الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة[٧]، أكبر دليل على ذلك، وأما الجفاة فهم الذين ينكرون الرسالات السماوية كالملاحدة، والفلاسفة، والعقلانيين، وأهل التخييل، والتأويل والتجهيل الذين يزعمون أن الرسل ومنهم محمد- عليه الصلاة والسلام – لم يبلغوا البلاغ المبين، ولم يفصحوا فيما جاءوا به، وظهر الآن متبجحون بلغت الوقاحة منهم إلى أن يسطروا في كتبهم ما يشيب منه الشباب ويجعل الحليم حيراناً، ومن هؤلاء سلمان رشدي الذي ألف كتاب آيات شيطانية وهو بريطاني الجنسية من أصل هندي، وقد مكنته بريطانيا من نشر كتابه ودفعت له مكافأة مالية كبيرة جداً، كما فرضت أوروبا وأمريكا حماية أمنية على الكتاب حتى ينشر في ربوع العالم، وقد نال الكاتب من شخصية الأنبياء – عليهم الصلاة

---

(١) رسالة العقائد (١٥/ ٣٠)

(٢) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله (٦-٧)، والمنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله (٨)

(٣) المنهج العقلي: هو النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ويدعوا إلى الفكر والتدبر والاعتبار، ومن أبرز أساليبه: المحاكمات العقلية والأقيسة بجميع أشكالها، والجدل، والمناظرة، والحوار، وضرب الأمثلة بأنواعها، والقصص التي يغلب عليها الجانب العقلي. انظر تفسير المراغي (١/ ٣٢٧)، والتوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٥٠١) ، والكليات (١٤٧) ، والتحرير والتنوير (١٣/ ٧١) ، والمرأة في القصص ألقراني (١/ ٢٥)

(٤) المنهج الحسي أو التجريبي : هو النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ويعتمد على المشاهدات والتجارب، أو مجموع الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس وتعتمد على المشاهدات والتجارب، ومن أبرز أساليبه : لفت النظر إلى التعرف على المحسوسات والتعليم التطبيقي، والندوة العلمية، وتغير المنكر باليد والتمثيل المسرحي. انظر سيكلوجية القصة في القرآن (٤٦٠)، وعيوب النفس (١/ ٢٧)، والتوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٥٠١ – ٥٠٣).

(٥) انظر المصادر السابقة

(٦) ويعتبر اليهود أيضاً من الجفاة حيث إنهم قاموا بقتل رسلهم وتعذيبهم.

(٧) انظر كتاب الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، والرسائل السلفية (١٩- ٤٠)

والسلام – وبالذات محمد وإبراهيم – عليهما الصلاة والسلام – ومن أعظم أهل الأهواء حالياً الحداثيون الذين يعيشون بين أظهرنا ويتسمون بأسمائنا ويتكلمون بألسنتنا، وينفثون سموم الحداثة بيننا، باعوا أنفسهم للشياطين من الشرق والغرب، حيث لم يسلم الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام –من جفاتهم، فلذا فإنه يجب على الدعاة أن يراعوا أحوال المدعوين في اختيارهم للموضوعات التي يخاطبون بها الأخرين بما يناسب عقائدهم وفكرهم، فعلى كل مصلح أن يراعي الموضوعات التي يتحدث عنها مع الناس، فيعالج ما تكون الحاجة إليه أمس من غيره، فإذا كان في البيئة شيوع آفة من الآفات الأخلاقية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، قدم الكلام فيه على غيره لوجود ما يدعو إلى ذلك، فلذا فإن الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – يتناولون الأصول المهمة كالتوحيد[1] يقول الله – تعالى – : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: ٣٦]، فإذا توصلوا إلى تقرير هذا الأصل في النفوس، يبدأ الرسول – عليه الصلاة والسلام – في إثبات الرسالات، وهذا ما فعله نوح – عليه الصلاة والسلام– مع قومه الذين قابلوه بالتكذيب لرسالته واتهموه بأنواع المفتريات، ومنها: أنه بشر، والرسالة لا تكون للبشر إذ لو أراد الله أن يرسل رسولاً لجعله من الملائكة، واتهموه كذلك بالجنون، وأخذوا يتهكمون به[2] بينهم بانتظار موته أو إفاقته من جنونه، فقالوا كما أخبر الله – تعالى – عنهم: (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) [المؤمنون: ٢٤ –٢٥] وقد جادلهم نوح – عليه الصلاة والسلام – وبيَّن ضلالهم، وأقام عليهم البينات التي تثبت ذلك، فقد ردَّ على اعتراضهم على بشريته وأزال تعجبهم من ذلك، فقال : إنه – تعالى – خالق الخلق فله بحكم الإلهية أن يأمر عبيده ببعض الأشياء وينهاهم عن بعضها، ولا يجوز أن يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة، ولا يجوز أن يكون ذلك الرسول واحداً من الملائكة لعدم إمكان تلقي تلك التكاليف منه وهو على صورته الحقيقية، فلم يبق إلا أن يكون إيصال تلك التكاليف إلى الخلق بأن يتمثل في صورة بشر، لأجل أن ينذرهم ويحذرهم، ومتى أنذرهم اتقوا مخالفة تكليف الله، ومتى اتقوا مخالفة تكليف الله استوجبوا رحمته[3]. يقول الله – تعالى–(أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[الأعراف: ٦٢]، وأما ظنهم أنه مجنون فهو مردود عليهم لأن المجنون لا يأتي بما فيه الرشد ولا يقيم الحجج على ما عنده، فنوح – عليه الصلاة والسلام –دعاهم إلى ما يصلحهم في الدنيا والآخرة، وأقام الحجج والبراهين عليهم بالعديد من الآيات الكونية والآفاق النفسية كما جاء ذلك في قول الله – تعالى – إخباراً عنه[4] : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) [نوح: ١٥ – ٢٠] ، وإبراهيم –عليه الصلاة والسلام – عندما سأله قومه عند الجدل معهم حول شركهم متعجبين ومنكرين عليه دعوته لهم بترك عبادة آلهتهم، قالوا له كما أخبر الله – تعالى – عنهم: (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) [الأنبياء: ٥٥] أجابهم بقوله:

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٣٢١)

(٢) هذا نفسه ما فعله قوم هود – عليه الصلاة والسلام – مع نبيهم.

(٣) التفسير الكبير (١٤/ ١٢٤)

(٤) مناهج الجدل (٢٦٩)

(قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) [الأنبياء: ٥٦]، فوضح لهم أن ما جاء به هو من عند الله – عزوجل – وهو صدق وحق، ومنه شهادته – عليه الصلاة والسلام – بأنه لا إله غيره ولا رب سواه، أي: أي شهادة أعلى من شهادة الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – على ذلك(١)، كما وضح موسى – عليه الصلاة والسلام – في الجدال مع فرعون الذي أنكر وجود الله، بأنه مرسل من رب العالمين مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سُدى بل يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، ولا يخبرون عنه إلا ما هو حق وصدق(٢) ومنه الإخبار بوجود خالق لهذا الكون وللناس جميعاً، يقول الله – تعالى - : (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ١٠٤] وهذا ما فعله الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – في وعظهم وجدالهم لأقوامهم، وتكرارهم لهذا الأمر بأساليب متنوعة وكثيرة، وهذا يؤدي إلى إبطال زعم اليهود بأن أنبياءهم كانوا على اليهودية، وأن يعقوب – عليه الصلاة والسلام – أوصى بها بنيه فلزمتهم لا يحيدون عنها، وقد أخبر الله عنهم فقال: (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ١٤٠] ، كما أنكر الله – تعالى – عليهم ذلك عند ذكر وصية يعقوب – عليه الصلاة والسلام – لبنيه بقوله – سبحانه وتعالى - : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقرة: ١٣٣]، يقول ابن عباس – رضي الله عنهما - : (جاء النحام بن زيد، وقردم بن كعب، وبحرى بن عمير، فقالوا: يا محمد، أما تعلم مع الله إلهاً غيره؟) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : (لا إله إلا الله بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو) فأنزل الله – تعالى – فيهم وفي قولهم : (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) إلى قوله: (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ١٩-٢٠](٣) فقد ذكر الله – تعالى – دليلين على توحيده وهما: أن هذا الدليل النقلي جاء في القرآن الكريم عن الله – تعالى – الذي أنزله، والله أصدق شيء يشهد، فهو شاهد حق على انفراده بالألوهية، وهو شهيد بين النبي محمد – عليه الصلاة والسلام – وبينهم على أنه رسول من عند الله بالحق، وقد شهد الله – تعالى – بذلك في آية أخرى فقال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) [الفتح: ٢٩] وقال أيضاً: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [البقرة: ١١٩]، وأما الدليل الثاني: فإن محمد – عليه الصلاة والسلام – مأمور بتبليغ القرآن، ومما أوحي إليه فيه لينذر به من الأدلة: أن القول بالتوحيد هو الحق الواجب، وأن القول بالشرك باطل مردود(٤) ومنه قوله – تعالى – : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]، ومن الأمور التي استخدمها الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام – مع أقوامهم في الجدال معهم إثبات الآيات التي أيدهم الله بها، من ذلك موسى – عليه الصلاة والسلام – استدل في جداله مع فرعون بأدلة شرعية وعقلية فلم يؤمن بها، فانتقل معه إلى دليل حسي يدلل على أنه مرسل من عند الله – تعالى – وهو الإتيان بآيات بينات تدل

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٧٥)

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٣٦)، وتيسير الكريم الرحمن (٢٦١)

(٣) جامع البيان(٧/ ٦٤)، أسباب النزول (١١٢٢)، معالم التنزيل (٢/ ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن (٣٩٩/٦)

(٤) التفسير المنير (٧/ ١٥٧ – ١٥٨)

على صدقه، فقال – عليه الصلاة والسلام –: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ)[الشعراء: ٣٠] إلا أن فرعون استمر في عناده وجبروته، فقال كما أخبر الله عنه: (قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: ٣١] فأيد الله – عزوجل – موسى – عليه الصلاة والسلام – في ذلك الموقف بآيتين تدلان على وجود مرسل له، وهما اليد التي خرجت بيضاء من جيبه، يقول ابن عباس – رضي الله عنهما – : (كان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض)[1] فكان خروج يد موسى – عليه الصلاة والسلام – بيضاء من غير سوء آية له، لأنه كما ذكر العلماء أنه كان أسمر شديد السمرة فأعاد يده إلى جيبه فعادت كما هي، والعصا التي انقلبت إلى ثعبان[2] يقول الله – تعالى – :(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) [الشعراء: ٣٢ –٣٣]وقد أعطى الله – سبحانه وتعالى – موسى – عليه الصلاة والسلام – تسع آيات بينات واجه بها منكري الرسالة وفيها دلالة على رسالته، يقول الله – تعالى –: (وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) [الإسراء: ١٠١] والآيات التسع كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم)[3]، ومن الآيات التي أيد الله – تعالى – بها نبيه محمداً – عليه الصلاة والسلام – آية انفلاق القمر حينما طلب منه المكذبون له أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة رسالته وصدقها، فأشار إلى القمر فانشق بإذن الله فلقتين[4]، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قيقعان فشاهد المكذبون له هذه الآية العظيمة الكائنة في العالم العلوي الذي لا يقدر الخلق على التمويه به، ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام– قبله نظيره[5]، يقول الله – تعالى – : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) [القمر: ١] وقد أثبت العلم الحديث أن القمر مازال ينقسم إلى قسمين، وهذا من أكبر الأدلة على إثبات رسالة محمد – عليه الصلاة والسلام – فعلى المجادل الناصح أن يستدل بتلك الأمور الموجودة في التاريخ القديم، حتى يؤكد للسامع صدق رسالة الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وأن يستخدم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة والذي لو أحسنا توظيفهما لفتح الله – تعالى – علينا الدنيا، حيث تتعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله بتعدد جوانب النظر فيه، فكل حرف من حروفه، وكل كلمة من كلماته، وكل آية من آياته فيها إعجاز لفظي وبياني ودلالي، وكل مجموعة من الآيات، وكل سورة من السور – طالت أم قصرت – تشهد لكتاب الله – تعالى – بأنه معجز بما فيها من قواعد عقدية، أو أوامر تعبدية، أو قيم أخلاقية، أو ضوابط سلوكية، أو أحداث تاريخية، أو إشارات علمية إلى شي من الأشياء في هذا الكون الفسيح، ولذا فإن فهم الإشارات الكونية في كتاب الله، على ضوء ما تجمع للبشرية اليوم من معارف، وتقديمها للعالم كواحد من الأدلة العديدة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله بعلمه على خاتم الأنبياء والرسل محمد – عليه الصلاة والسلام – والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يعتبر فتحاً جديداً للإسلام، وإنقاذاً للبشرية من الهاوية التي تتردى فيها اليوم، فكثرت الأزمات النفسية وأمراضها، وتضاعفت

---

(١) التفسير الكبير (١٤/ ١٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٥٧)

(٢) جامع البيان (١٥/ ١٧١) ، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٧)

(٣) التفسير الكبير (١٤/ ١٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٥٧)

(٤) أبو فبيس وقيقعان: هما الجبلان اللذان يقال لهم (الأخشبان)، وأبو قبيس الجبل المشرف على الصفا، أما جبل قيقعان : فهو الجبل الذي ينتهي إليه السعي. انظر أخبار مكة للأزرقي (٢٦٦/٢) ، وأخبار مكة للفاكهي (٣/ ٢١٨)

(٥) جامع البيان (٢٧/ ٨٤–٨٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥/ ٣٠٦)، وتيسير الكريم الرحمن (٧٦٥)

معدلات كل من الإدمان والجريمة والانتحار، وملئت أكثر المجتمعات البشرية ثراء وتطوراً مادياً، بأخطر مشاكل المجتمعات الإنسانية على الإطلاق، فعلى المجادل الناصح أن يستغل المعجزات القرآنية التي أثبتها العلم الحديث للتأكيد على صدق رسالة محمد – عليه الصلاة والسلام[1] – وعندها لا يستطيع المنكر ألا أن يقر ويعترف بذلك[2].

المطلب الخامس: الجدال السلمي في إثبات البعث:

إن أهل الأهواء قد وقعوا في هذا الركن موقف الأركان الأخرى، وقد ذكر لنا الله – تعالى – ما حصل من التكذيب به، فقال: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) [يس: ٧٨ -٨٨]، ويقول أيضاً: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) [التوبة: ٢٩] ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – افتراق الناس في البعث فقال: (ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق: فالسلف والأئمة وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر، مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وما في الآخرة ... والفريق الثاني: الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب، ونفوا كثيراً مما أخبر به من الصفات... ، والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا كالقرامطة الباطنية والفلاسفة اتباع المشائين ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر به عن نفسه وعن اليوم الآخر)[3] فلذا فإن هذه الأمور موجودة كما أخبر عنها شيخ الإسلام – يرحمه الله – حيث إن هناك من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو يوم القيامة، حيث ينكرون الحساب والجزاء وغيرهما، فقد كان من العرب من يقول بتناسخ الأرواح، فكانوا يعتقدون بأنه إذا مات الإنسان، أو قُتل اجتمع الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامه، فيرجع إلى القبر كل مائة سنة[4]، ومن الذين كذبوا بالبعث والحساب قوم عاد، كما قال الله – تعالى – عنهم: (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [المؤمنون: ٣٤– ٣٧] وقد كذب أهل الكتاب بهذا الركن أيضاً، وهم الآن منقسمون قسمين من الإيمان بالبعث، أحدهما من لا يؤمن أصلاً به[5] وثانيهما: من يؤمن به، لكن ليس على الوجه الصحيح، فاليوم الآخر عندهم، اعتقاد أن الأموات من الصالحين سينتشرون في الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان[6]، ولا ريب أن كلا النوعين يصدق على معتقدهما أنه غير مؤمن باليوم الآخر، ومن لم يؤمن به على الوجه الصحيح فلا إيمان له، ومن المذاهب الباطلة الموجودة حالياً: البوذية، والهندوسية، والجينية وممن نهج نهجهم من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام كذباً كالإسماعيلية الذين ينكرون الجنة والنار، وغيرها من الأمور الأخروية ، ويحرفون النصوص المختصة باليوم الآخر بأن المراد بها تناسخ الأرواح، وكذلك الدروز الذين يزعمون أن يوم الحساب هو

---

(١) آيات النبات في القرآن الكريم (١٥-٧٧)

(٢) انظر كتاب آيات النبات في القرآن الكريم، وكتاب من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم

(٣) التدمرية – ط مكتبة العبيكان (٤٧-٤٨)

(٤) الملل والنحل (٢/ ٢٣٧) ، وفي الفكر الديني الجاهلي (٢٤١ – ٢٤٢)

(٥) الفصل (١/ ١٧٨) ، ومقارنة الأديان (٢٢٩)، والفكر اليهودي الديني (٢١٤ – ٢١٦) ، والمدخل لدراسة التوراة (٢٥٣ – ٢٥٧) ، واليهودية والمسيحية (١٨٩ – ١٩٣)

(٦) اليوم الاخر بين اليهودية والمسيحية (١٥٦) ، والمدخل لدراسة التوارة (٢٥٤)، الأسفار المقدسة (٥٧) ، وطباع بني إسرائيل (١٧) ، وأحكام أهل الذمة (١/ ٩١ -١ ٩٢)

اليوم الذي يبلغ فيه التوحيد غايته بالانتصار على العقائد الشركية، أما البعث فباطل لا أساس له، وهذا الموقف من التحريف يقول به العصرانيون، فهم قد وقفوا من هذا الركن موقفاً غريباً، إذ سلطوا على آيات القرآن وأخبار السنة الصحيحة التحريف والإنكار إرضاءً لعقولهم، فحملوا النصوص الثابتة اليقينية حول أهوال يوم القيامة على أنها تمثيل وتصوير، لا حقيقة واقعة، فحمل عرش الرب – سبحانه – تمثيل لكمال عزته، وأخذ الكتب باليمين يراد به الاستبشار والابتهاج، والتناول بالشمال يراد به العبوس، وكذلك النفخ في الصور هو تمثيل وتصوير لما يجري في المستقبل[1]. فلذا فإنه يجب على المجادل الناصح أن يعدد الطرق والوسائل والأساليب والمناهج في مخاطبة منكري البعث، وهذا ما فعله الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ومن تلك المناهج استخدام الأقيسة العقلية النقلية، ومن ذلك ما أمر الله – تعالى – به محمداً – عليه الصلاة والسلام – أن يستدل به على إمكان وقوع البعث بقياس البعث على بدء الخلق، فقد ردَّ على من أنكر البعث واستبعد وقوعه في الجدال معه بهذا الدليل العقلي[2]. فقال الله – تعالى - : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس: ٧٨ – ٧٩] يقول ابن عباس – رضي الله عنهما- : (جاء العاصي بن وائل إلى رسول الله – عليه الصلاة والسلام – بعظم حائل ، ففته، فقال: يا محمد أيبعث هذا بعدما أرم؟ قال : نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآيات)[3]، وعندما أنكر بعض المشركين البعث بعد الموت، ذكرهم الله بخلقهم الأول، وأن من أوجدهم من العدم من الهين عليه الإعادة بعد الموت، فأنزل الله – تعالى – قوله: (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) [مريم: ٦٦- ٦٧][4]، وأيضاً قياس البعث على خلق السموات والأرض، فقد لفت الله – تعالى – نظر منكري البعث في خطابه لهم إلى قدرته – سبحانه وتعالى – على خلق السموات والأرض، ولا شك أن خلقها أعظم من إعادة الإنسان حياً بعد أن صار ميتاً[5]، يقول الله – تعالى - : (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) [الإسراء: ٩٨ – ٩٩]، وقال : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأحقاف: ٣٣]، ومن ذلك أيضاً قياس البعث على إحياء الأرض الميتة، فقد لفت الله – سبحانه وتعالى- أنظار المنكرين للبعث بهذا الدليل العقلي النقلي، الذي هو أمر مشاهد ومتجدد لديهم دوماً ، فقال: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الأعراف: ٥٧] وقياس البعث على إخراج النار من الشجر الأخضر فقد ردَّ على من قدح في قدرته – سبحانه وتعالى – على بعثهم بعد أن تتفت وتهلك عظامهم بلفت نظرهم إلى قدرته على إخراج النار من الشجر الأخضر، يقول الله – تعالى - : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) [يس: ٨٠]، وقياس البعث على إحياء

---

(١) انظر كتاب عقيدة الدروز، ومنهج المدرسة العقلية (٥٣٢)، وشطحات مصطفى محمود (١٤٢) ، ومذاهب الإسلاميين (٢٢١-٢٢٩)

(٢) درء تعارض العقل (١/ ٣٢ –٣٥) ، وأضواء البيان (٣/ ٤٧٣)

(٣) أسباب النزول (٢٠٦) ، وأرباب النقول (١/ ١٨٢)

(٤) أسباب النزول (١٧١) ، وأضواء البيان (٣/ ٤٧٢)

(٥) التفسير الكبير (٢٨/ ٣٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٧٢٨)، ودرء تعارض العقل (١/ ٣٢)

الأموات في الدنيا، ومن ذلك ما حصل مع بني إسرائيل عندما امتنعوا عن الإيمان والتصديق بما جاء في التوراة حتى يروا الله عياناً، فعاقبهم – سبحانه – بأن أماتهم ثم بعثهم بعد موتهم[1]، يقول الله – تعالى – : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: ٥٥ – ٥٦]، وكذلك قصة الرجل الذي استبعد قدرة الله على إعادة الحياة إلى القرية التي مر بها، وقد هلك أهلها فأصبحت مقفرة موحشة، فأراه الله آية في نفسه ودابته، بأن آماته الله مئة عام ثم بعثه، فبعث الله ريحاً جمعت عظام حماره التي تفرقت وكساها لحماً ثم نفخ فيه الروح، فعاد مرة أخرى إلى الحياة بإذن الله – عزوجل – وذلك كله بمرأى من الرجل[2]، عند ذلك أيقن بقدرته على إحياء الموتى، يقول الله – تعالى – : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ٢٥٩] ، وقصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله – عزوجل – أن يذبحوا بقرة، ثم يضربوه ببعضها، فأحياه الله ، فأخبر عمن قتله، يقول الله – تعالى –: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [البقرة: ٧٢-٧٣]، وقصة أصحاب الكهف وما كان من أمر بعثهم بعد أن أماتهم الله ثلاث مئة وتسع سنين، إذ فروا بدينهم من أهل قريتهم الذين كانوا يعبدون الأصنام، فاستخفوا منهم في الكهف، ثم أتى زمان أنكر فيه أهله البعث، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا: إنما تحشر الأرواح، فشق على ملكهم ذلك وبقي حيراناً لا يدري كيف يبين أمره لهم ، حيث لبس المسوح، وقعد على الرماد وتضرع إلى الله في حجة وبيان، فأعثره الله على أهل الكهف، فلما بعثهم الله وتبين الناس أمرهم سُر الملك، ورجع من كان قد شك في بعث الأجساد إلى اليقين به[3] قال الله – تعالى – في سبب بعثهم : (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا) [الكهف: ٢١]، وقياس البعث على اليقظة بعد النوم فقد أثبت الله – عزوجل – قدرته على البعث باليقظة (وهي حياة صغرى) بعد النوم الذي يُعد (موتة صغرى) في خطابه للناس فقال: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأنعام: ٦٠] فلذا فإنه ينبغي على المجادل لمنكري البعث تنبيههم إلى أنه لو لم تدل الدلائل الشرعية على إثبات البعث بعد الموت، لكان في العقل أكبر دليل عليه، فالناس في هذه الحياة قد يظلم بعضهم بعضاً، ويعتدي بعضهم على بعض، وفيهم الصالح والفاسد، والمحق والمبطل، فلو لم يكن هناك بعث ولا حساب، لضاع حق المظلوم، ولأفلت الظالم من العقاب، ولمات المحسن دون أن يلقى ثواب إحسانه، والمسيء دون يلقى جزاء إساءته، يقول الله – تعالى – : (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يونس: ٤]، وأن من أسباب بعث الناس بعد موتهم، عدم المساواة بين الخبيث والطيب، والكافر والمؤمن، ومن ظن بالله الحكيم الخبير أنه

---

(١) البحر المحيط (١/ ٣٧١)

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٩٣)

(٣) جامع البيان (١٥/ ٢٠٠) ، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٠٧)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٨)

يساوي بين الصالح المصلح والفاجر المفسد، فقد ظن ظناً قبيحاً جديراً بالإنكار ومناقضاً للعقول السليمة[1] يقول الله – تعالى- : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [الجاثية:٢٠] وقال: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [القلم: ٣٥-٣٦]، وعلى المجادل أن يذكر لهم أيضاً أن الإيمان بالبعث يقوم عليه صلاح حياة الناس في الدنيا، لأن إيمان الناس بأنهم سوف يبعثون ويجازون على أعمالهم من أعظم الدوافع على القيام بأعمال الخير والبر ونشر الفضيلة، والكف عن الآثام والبغي والفساد والظلم، يقول الله – تعالى – : (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر: ٩] فكل هذه الأدلة وغيرها موجودة في القرآن الكريم، وعند نزوله كان اليهود والنصارى موجودين فلو كان هناك دليل واحد ينافي ما عندهم من التوراة والإنجيل لردوا عليه ولكن سكوتهم دليل على الإقرار بما فيه. وبذلك نجادل غير المؤمنين بالبعث حتى نصل معهم إلى الحق المبين بتلك الأمور السابقة.

المطلب السادس: الجدال السلمي في إثبات الشرائع:

إن أهل الأهواء قد عارضوا الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام[2] – فيما أمروهم من التشريعات الإلهية فاتبعوا معهم أسلوب الجدل السلمي لحثهم على الامتثال بها ومن أمثلة ذلك أنه عندما انتشر في قوم لوط المحرمات وارتكاب الفواحش التي أحدثوها وابتدعوها، ولم يسبقهم بها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، أخذ يجادلهم لوط – عليه الصلاة والسلام – وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والفواحش، وبين لهم طبيعة الإثم الذي كانوا يرتكبونه بأنه إسراف منهم وجهل، لأنه وضع الشيء في غير محله[3]، إذ أن كل من عصى الله جاهل كما ذكر العلماء[4] وهذا الجهل الذي يصدر من بعض العصاة قد لا يكون جهل بالتحريم، لأن بعض الناس يعرفون أن الفعل الذي يرتكبونه حرام، ومع ذلك يفعلونه، مع علمهم بحكمه، وعند ذلك يوصفون بالجاهلين، وجهلهم هنا ليس بعدم العلم ولكنه جهل خفة وطيش كما قال يوسف – عليه الصلاة والسلام – لإخوته عندما وبخهم على فعلتهم معه وهو صغير بإلقائه في البئر إذ قال لهم: (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) [يوسف: ٨٩] فلذا قال لهم لوط – عليه الصلاة والسلام- : (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) [الأعراف: ٨٠ – ٨١] وقال: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [النمل: ٥٤-٥٥] لكنهم أجابوه في جدالهم معه كما هي عادة المصريين على معصيتهم، بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته، فأمروا بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجراً بهم وبما يسمعونه من نصحهم، فقالوا كما أخبر الله عنهم : (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [الأعراف: ٨٢] كما أنهم قالو سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخاراً بما كانوا فيه من

(١) أصول الدعوة (٤٤٠)

(٢) انظر مطلب الجدال السلمي في إثبات الرسالات

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٣١)

(٤) القصص القرآني عرض (١/ ٤٩٢)

القذارة[1]: (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [الأعراف: ٨٢] فأرشدهم لوط – عليه الصلاة والسلام – في الجدال معهم عندما أتوا إليه لما علموا بأضيافه من الملائكة الذين أتوا لإيقاع العذاب بهم وهم لا يعلمون إلى البديل الحلال الذي أباحه الله لهم، وهو الزواج من بناته أي نساؤهم لأنه أب لأمته[2] فقال لهم: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) [هود: ٧٧ – ٧٨] فاعتذروا إليه في جدالهم له بأنهم لا يشتهونهن وبأنه لا رغبة لهم في النساء، وأنه يعلم مرادهم من أضيافه[3] (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) [هود: ٧٩]، ومن الأمثلة لما كثرت المعاصي والخطايا في بني إسرائيل، وغلب عليهم عدو لهم سبى كثيراً من ذراريهم عندها سألوا نبيهم أن يعين ملكاً يجتمع به أمرهم، ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم فعين لهم طالوت ملكاً عليهم وكان رجلاً من أجنادهم، ولم يكن من بيت الملك[4]، وكتب الله عليهم القتال، فتولوا إلا قليلاً منهم، وأخذوا يجادلون نبيهم فيما قضى الله لهم من تعيين طالوت ملكاً عليهم، واعترضوا عليه بأنه فقير لا مال له [5]، يقول الله – تعالى – مخبراً عنهم: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) [البقرة: ٢٤٦ – ٢٤٧] ثم إن نبيهم بين لهم في الجدال السلمي معهم سبب جعل طالوت ملكاً عليهم، إذ أنه من اختيار الله، واختياره – عزوجل – هو الحجة القاطعة، كما أن الله – تعالى – زاده بسطة في العلم الذي هو أعظم وجوه الترجيح، وزاده بسطة في الجسم الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها، فكان قوياً في دينه وبدنه، وذلك هو المعتبر لا شرف النسب، فإن فضائل النفس مقدمة عليه، وقد وضح لهم نبيهم في الجدال معهم أيضاً القاعدة العامة في اصطفاء الله – عزوجل – لبعض البشر وتميزه على الآخر، بان الملك ملكه – عزوجل – وليس لهم الاعتراض على شيء ليس لهم ولا أمره إليهم[6] يقول الله – تعالى – : (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٤٧]، ومن أنواع الجدال السلمي في إثبات الشرائع ما حصل من مشركي قريش في التحليل والتحريم إذ فرضوا في أموالهم وحروثهم وأنعامهم نصيبين: نصيباً لله – تعالى- ونصيباً لشركائهم، فما كان للصنم أنفقوه عليه، وما كان لله أطعموه الصبيان والمساكين ولا يأكلون منه، ثم إن سقط مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب الله أخذوه وردوه إلى نصيب الصنم وقالوا: إنه فقير[7] وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة

(١) الكشاف (٢/ ١١٩)

(٢) جامع البيان (٨٤/١٢) ، والتفسير الكبير (٢٧/١٨)، وفتح القدير (٥٢٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٢)، وتيسير الكريم الرحمن (١٧٠–١٧١)

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٣١)، والتفسير الكبير (٦/ ١٤٤)، وزاد المسير (١/ ٢٩٢)

(٤) جامع البيان (٢/ ٥٩٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٠١)

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٠١ –٣٠٢) ، وفتح القدير (١/ ٢٦٤)

(٦) فتح القدير (١/ ٢٦٤)

(٧) التفسير الكبير (١٣/ ١٦٨)

والسائبة والوصيلة والحام[١] فيجعلونه للأوثان ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله – تعالى –[٢] يقول الله – تعالى – في الرد عليهم وإبطال فعلهم : (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [المائدة: ١٠٣]، كما أخبر الله – تعالى – عنهم سوء صنيعهم في تقسيم أموالهم فقال: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [الأنعام: ١٣٦] فدحض الله قولهم ونسبه للكذب، لأنه لم ينزل بذلك شرع، وقد ذمهم الله – تعالى – في نهاية الآية وبين لهم سوء صنيعهم، وسفه عقولهم في تنوع الحلال والحرام بغير معرفة ولا عدل[٣] بقوله: (ساء ما يحكمون) فإنهم أخطئوا القسم لأن الله – تعالى – هو رب كل شيء ومليكه وخالقه، وكل شيء تحت قدرته ومشيئته لا إله غيره ولا رب سواه، لأنهم فيما قسموه من القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها، ورجحوا جانب الأصنام في الرعاية والحفظ على جانب الله – تعالى – وهم قد أحدثوا ذلك الحكم من عند أنفسهم فلم يشهد بصحته عقل ولا شرع[٤]، ولقد كان من مفترياتهم وضلالهم في التحليل والتحريم أنهم كانوا يجعلون ما في بطون الأنعام من البحائر والسوائب من الأجنة، وقيل: من اللبن خالص للذكور دون الإناث، وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون الإناث، وإن كانت أنثى تُركت ولم تُذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء[٥] يقول الله – تعالى – عنهم: (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) [الأنعام: ١٣٩] ثم بين الله – تعالى – ما ينبغي أن يكون به الجدال معهم في هذا الأمر، وذلك بأمره النبي محمداً – عليه الصلاة والسلام – بحصر الأوصاف التي يمكن أن تكون علة للتحريم الذي أتوا به وهي: الحصر عن طريق العقل المنطقي، أو النقل الصحيح عن الوحي، أو دليل الحضور والشهادة، يقول الله – تعالى - : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام: ١٤٣ -١٤٤] فإذا كان علة التحريم الذكورة فكل ذكر حرام، وإن كانت الأنوثة فكل أنثى حرام، وإن كانت ما اشتمل الرحم على الحمل فكل مولود حرام ذكراً كان أو أنثى، فإذا لم تكن العلة فيما تقدم فهل كان عندهم علم من الله – تعالى – جاء به الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – يدل على أن الله حرم شيئاً مما ذكر؟ فإن لم يكن عندهم علم هل كانوا حاضرين مشاهدين إذ وصَّاهم الله بهذا التحريم وألزمهم به؟ والأول مناف لما هم عليه، لأنهم لا يؤمنون برسول ، فتعين المشاهدة وهذا محال، فثبت بهذا كذبهم وافتراؤهم على الله – تعالى – والمراد من هذا التبكيت لهم والتهكم بهم وإلزامهم الحجة، لأن الله – عزوجل – علم

(١) البحيرة: هي التي يمنح درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسَّيبونها لآلهتهم لا يُحمل عليها شيء ، والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيَّبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام : فحل الأبل يضربُ الضَّراب المعدود فإذا قضى ضرابه وادعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي، انظر البخاري كتاب التفسير – باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة...) رقم (٤٦٢٣) ، ومسلم كتاب الجنة – باب النار يدخلها الجبارون رقم (٢٨٥٦)

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٠)

(٣) انظر المصدر السابق

(٤) انظر المصدر السابق، ومناهج الجدل (٣/ ٣٧٣)

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٠) ، وفتح القدير (٢/ ١٦٧)

أنه لا علم عندهم[١] فتبين بهذا فساد تلك الأعمال الجاهلية ، وأنهم على الباطل حيث إنهم لم يستطيعوا إثبات ما قاموا به، ومن الجدال السلمي مجادلة الرسول – عليه الصلاة والسلام – للمشركين في تحليلهم للمحرمات، حيث إنهم كانوا لا يقاتلون في الأشهر الحرم لأنها العدة التي حرمها الله في عهد إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – فجاء النساة وغيروا هذه الأشهر، فإذا أراد بعضهم أن يغير على بعض، أنسا الأشهر الحرم، وأحل القتال فيها، وجعل بدلاً منها غيرها من الشهور كما ذكر ابن عباس – رضي الله عنهما[٢] – ولذا أمر الله – تعالى – النبي – عليه الصلاة والسلام – أن يرد عليهم بقوله : (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [التوبة: ٣٧] فعلى المجادل أو الداعي إلى الله – تعالى – أن يدرك أن الجدال نوعان : جدال في تقرير الحق، وجدال في تقرير الباطل، فالجدال بالحق، والوصول إلى فهم الحقائق فهو مشروع حيث اتخذه الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– أسلوباً في دعوتهم وهو ما ينبغي أن يسير عليه الدعاة عند دعوة الناس وهذا النوع من الجدال هو من أفضل ما يتقرب به المتقربون في الدعوة إلى الله لبيان الحق[٣] وأن يرشد الداعي العصاة إلى البديل الحلال، وهذا ما فعله لوط – عليه الصلاة والسلام – مع قومه عند نهيهم عن الفاحشة التي كانوا عليها، إذ أرشدهم إلى الزواج من النساء[٤]، وكذلك شعيب – عليه الصلاة والسلام – عندما نهى قومه عن التطفيف في الكيل وبخس الناس، حثهم وأرشدهم إلى ما أنعم الله به عليهم من الخير والرزق العميم، وهذا ما فعله الرسول – عليه الصلاة والسلام – مع المشركين من قريش فوضح لهم ما أحل الله لهم من الأنعام بدلاً مما جعلوه لأنفسهم منها فقال الله – تعالى - : (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام: ١٤٥] وقد اتبع النبي – عليه الصلاة والسلام – هذا الأسلوب في الإنكار على المخطئ (حين استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر خبيب[٥] فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (أكلُ تمر خيبر هكذا؟ فقال: لا، والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة، فقال: لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم خبيباً)[٦] فيحسن بالداعي والمجادل والناصح الأخذ بهذا الضابط عند إتباع هذا الأسلوب في الدعوة خصوصاً إذا كان الأمر المرهب منه أمراً غريزياً، وذلك حتى لا يتهم الداعي بالمثالية البعيدة عن الواقع ، وحتى يتأكد للعامة وللخاصة أن المشرع والخالق واحد، وأنه لم يغفل حاجيات البشر[٧]، وأن ينكر على العاصي فعله بما يستطيع من الأساليب المتنوعة وأن يبين له ضررها، خصوصاً

---

(١) فتح القدير (٢/ ١٧١)، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٤) ، ومناهج الجدل (٣٨٠)

(٢) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١٣٠ – ١٣١) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم في الدرر المنثور (٣/ ٢٣٦-٢٣٧)

(٣) فتح القدير (٣/ ٢٠٣)

(٤) الترهيب في الدعوة (٦٢)

(٥) الخبيب: من أعلى أنواع التمور فقيل هو الكبيس، أو الطيب، أو الصلب، وقيل: الذي أخرج منه حشفة ورديئه، وقيل : هو الذي لا يخلط بغيره، بخلاف الجمع . انظر فتح الباري (٤/ ٤٠) ، وشرح النووي (١١/ ٢١)

(٦) البخاري كتاي البيوع – باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه (٤/ ٤٠٠) ، ومسلم المساقاة – باب بيع الطعام مثلاً بمثل (١١/ ٢١)

(٧) الترهيب في الدعوة (٦٢ – ٦٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٧١) ، وتفسير المنار (٨/٥٢٠)

إذا كانت معصية تلحق الضرر بالأمة وتشيع الفساد في الأرض متأسياً بالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – الذين بذلوا الجهد الجهيد مع أقوامهم لإقناعهم بالجدل السلمي[١].

المطلب السابع: الجدل السلمي في نسخ الأحكام:

إن أهل الأهواء قد وقفوا من مسألة نسخ الأحكام موقفاً عجيباً، حيث إنهم يكفرون بالحق إذا جاء من غيرهم، ومنهم الأميين والكتابيين الذين سلكوا مسلكاً مشيناً ينافي العقل السليم، والفطرة السوية، وهذا المسلك هو مسلك التعصب للطائفة، فقد كانوا يعمون أبصارهم ويصمون آذانهم عما لم يكن عندهم، ولم تأت به طائفتهم التي ينتمون إليها، يقول الله – تعالى- : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) [البقرة: ٩١] فإن الله – سبحانه وتعالى- يخبر عن اليهود الذين كانوا في زمن النبي –عليه الصلاة والسلام – الذين أبوا الإيمان بما جاء به، وأعلنوا عدم إيمانهم بغير ما عندهم من التوراة[٢]، يقول الله – سبحانه وتعالى-: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [البقرة: ١١٣] فقد بين الله – تعالى – في هذه الآية أن اليهود أنكروا أن يكون في دين النصرانية شيء من الحق، وقابلهم النصارى بمثل ذلك، مع أن كلتا الطائفتين تتلو كتاب الله، وتعلم ما عند الأخرى من الحق، لكنه الجحود والنكران[٣] كما بين – جل وعلا- أن مشركي العرب قد سلكوا مسلك أهل الكتاب، يقول الله – تعالى – عن كفر اليهود وعنادهم، ومخالفتهم ما يعرفون من شأن النبي – عليه الصلاة والسلام – : (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آَيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) [البقرة: ١٤٥]، ولما رأت يهود أن النبي الذي بُعث لم يكن منهم ، كفروا، وأصروا على قتاله، يقول ابن عباس – رضي الله عنهما-: (إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون)[٤]، وما تزال هذه الخصلة موجودة عند أهل الأهواء، حيث إن الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة يطلقون عليها ألقاباً ومن تلك الألقاب المشبهه والنقصانية، والشكاك وتنبزهم بتلك الألقاب الجهمية – لإثباتهم صفات الله – تعالى – ، والحشوية، والنابتة أو النوابت، والمجبرة، والمشبهه، وتنبزهم بهذه الألقاب المعتزلة، والزنادقة، وسائر أهل الكلام والخوارج، والمجبرة أو الجبرية وتنبزهم بها القدرية، والناصبة أو النواصب، والعامة، والجمهور ، والمشبهه، والحشوية وتنبزهم بها الرافضة، والمشبهه والمجسمة والحشوية، والنوابت والغثاء، والغثراء وتنبزهم بها الأشاعرة والماتردية[٥] فلذا فإنه ينبغي للداعي أو الناصح أن يصبر حيث إن كثيراً من الناس لا ينقاد بمجرد الموعظة البليغة، والدعوة الحكيمة، بل يحتاج إلى جدال سلمي لنزع ما في نفسه من موروث التبعية والتقليد للأباء والإعجاب بالقديم أو الجديد من الاعتقادات والقيم والآراء، وإدعاء العلم والمعرفة ، يقول الله – تعالى – : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) [لقمان: ٢٠ – ٢١] ولذا

---

(١) الترهيب في الدعوة (٦٢)

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٤١٨ – ٤١٩)

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) ابن إسحاق في السيرة (١/ ٥٤٧) ، وابن جرير في تفسيره (١/ ٤١٠ – ٤١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٧٦) رقم (٩١١) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٤)

(٥) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١/ ١١٣ – ١١٤)

فإن النبي – عليه الصلاة والسلام – عندما أعلن أنه رسول الله إلى الناس جميعاً ، عارض اليهود بإنكار النسخ في الشرائع، وأنه قد أتى بما يخالف بعض أحكام التوراة بالتحليل والتحريم، واشتد الجدال بينهم وبين النبي – عليه الصلاة والسلام – ومع ذلك لم يتوان بل صبر واحتسب، وقد أبطل الله – تعالى – هذا القول بنقض أساسه الذي يقوم عليه، وهو إنكار النسخ، فأثبت وقوعه من واقع توراتهم، وقرره كما تنص عليه كتبهم التي بين أيديهم فقال الله – تعالى – : (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ) [آل عمران: ٩٣] فوضحت الآية أن جميع المطعومات كانت حلالاً لبني إسرائيل قبل نزول التوراة إلا النوع الذي حرمه يعقوب – عليه الصلاة والسلام – على نفسه الإبل وألبانها، وتبعه بنو إسرائيل في ذلك تأسياً، فذاك الذي حرمه يعقوب – عليه الصلاة والسلام – على نفسه كان حلالاً، ثم صار حراماً عليه وعلى أولاده، ثم إن الله حرم على بني إسرائيل بسبب بغيهم بعض الطيبات، كما قال الله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) [النساء: ١٦٠]، فقد حصل النسخ به فبطل قولهم : إن النسخ غير جائز[١]، فأنكروا أن يكون ذلك التحريم بسبب أن يعقوب – عليه الصلاة والسلام – حرمه على نفسه، بل زعموا أن ذلك كان حراماً من عهد الأمم الماضية وأنهم ورثوه عن الأنبياء، فعندما طلب الله – عزوجل – من الرسول – عليه الصلاة والسلام – أن يأمرهم بأن يثبتوا ذلك بطريق صحيح، وهو إحضار التوراة، فإنها ناطقة بأن بعض أنواع الطعام إنما حُرم بسبب أن إسرائيل حرمه على نفسه، يقول الله – تعالى – : (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران: ٩٣] فخافوا من الفضيحة وكشف كذبهم ولم يحضروها، ثم هددهم الله – تعالى – بأن من كذب عليه بعد ذلك، وادعى انه شرع لهم التمسك بالتوراة دائماً وإنه لن يبعث نبياً آخر يدعو إلى الله – عزوجل – بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه عن وقوع النسخ فأولئك هم الظالمون[٢] يقول الله – تعالى – : (فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [آل عمران: ٩٤]، ولذا فإن مخاطبة أهل الكتاب بهذه الأمور المعروفة عندهم وفي تاريخ أنبيائهم مع التحريف الموجود في كتبهم إلا أن بعض هذه الأمور مازالت مؤرخة عندهم، ومن الأمور التي تنفع الداعية أو الناصح لله – تعالى – أن يوضح لغير المؤمنين بأن الله – تعالى – قد نسخ جميع الرسالات برسالة محمد – عليه الصلاة والسلام – ومما يدل على ذلك أن اليهود في زمن الرسول – عليه الصلاة والسلام – كانوا يعلمون علماً يقينياً ببعثه، وكانت لديهم معرفة شاملة باسمه وصفته، وزمن بعثته، ولكن الحقد الأعمى والتعصب البغيض يقلبان الموازين ويغيران الأوضاع، إذا تمكنا من القلوب، فالقرآن الكريم يبين لنا بكل وضوح معرفة اليهود لرسول الله – عليه الصلاة والسلام – يقول الله – تعالى – : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [البقرة: ١٤٦ – ١٤٧] ويقول : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) [البقرة: ٨٩ – ٩٠] وقد وضح الله

(١) التفسير الكبير (٨/ ١٢٠) ، والجامع لإحكام القرآن (٤/ ١٣٤)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٣)

(٢) التفسير الكبير (٨/ ١٢٠) ، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٣)

– تعالى – بوجود الرسول – عليه الصلاة والسلام – عندهم في التوراة والإنجيل، يقول الله – تعالى – : (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف : ١٥٦ – ١٥٧]، وكذلك النصارى كانوا يعلمون برسالة محمد – عليه الصلاة والسلام – فقد ذكر القرآن الكريم أن عيسى – عليه الصلاة والسلام – قد بشرهم به معرفاً باسم (أحمد) يقول الله – تعالى – : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) [الصف: ٦] ولكن مع كفر بعضهم إلا أن بعضهم قد آمن برسالته – عليه الصلاة والسلام – يقول الله – تعالى – عنهم: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [المائدة: ٨٢-٨٣] ويقول أيضاً : (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) [المائدة: ٨٤ – ٨٥] فلو كانت هذه الأدلة منافية لما عندهم من التوراة والإنجيل لافصحوا عن ذلك ووضحوه، وفي الواقع هم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك حتى لا يتضح كذبهم وافترائهم لأن الرسول – عليه الصلاة والسلام- سوف يطلب منهم إحضار التوراة والإنجيل التي تبين حالهم، ومن الأدلة التي نخاطب بها غير المؤمنين وخاصة أهل الكتاب أن نوضح لهم إن هناك أدلة غير تلك الأدلة ومن ذلك أن عطاء بن يسار قال : (لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – فقلت أخبرني عن صفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، أسميتك المؤكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعين عُميّ وآذان صُمَّ وقلوب غُلف)[1] ويقول عطاء بن يسار: لقيت كعباً فوافقه، ويقول عبد الله بن سلام: وهو من أشرف الرجال عند اليهود وسيدهم: (إنا لنجد صفة رسول الله – عليه الصلاة والسلام – فذكر الصفات التي جاءت في حديث عطاء بن يسار السابق[2]، وإن ابن عباس – رضي الله عنهما- سأل كعب الأحبار : (كيف تجد نعت رسول الله – عليه الصلاة والسلام – في التوراة؟ فقال كعب: (نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحَّاش ولا صَّخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون ، يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكبرون الله على كل نجد، ويوضئون أطرافهم، ويأتزرون في أوساطهم، يصفّون في صلاتهم كما يصطفّون في قتالهم، دوّيهم في مساجدهم كدوي النحل يستمع مناديهم في جو السماء)[3]، ومن الأدلة عن الفلنان بن عاصم – رضي الله عنه – قال : (كنا قعوداً مع النبي – عليه الصلاة والسلام – في المسجد فشخص بصره إلى رجل

(١) البخاري كتاب البيوع – باب كراهية السخب في الأسواق (٤/ ٣٤٢ – ٣٤٣)

(٢) البخاري كتاب البيوع باب كراهية السخب في الأسواق (٤/ ٣٤٣)

(٣) الدارمي في سننه في المقدمة – باب صفة النبي – عليه الصلاة والسلام – (١/ ١٥) رقم (٨) ، والبيهقي في سننه كتاب النكاح (٧/ ٤٥) ، وابن جرير في تفسيره (٩/ ٥٧)

يمشي في المسجد فقال : يا فلان، فقال: لبيك يا رسول الله، قال: ولا ينازعه في الكلام إلا قال: يا رسول الله، فقال النبي – عليه الصلاة والسلام – أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا ، قال: اتقرأ التوراة؟ قال: نعم، قال: والإنجيل؟ قال: نعم، قال: والقرآن؟ قال: والذي نفسي بيده لو أشاء لقرأته، ثم ناشده: هل تجدني في التوراة والإنجيل؟ قال: نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيأتك وكنا نرجو أن تكون فينا فلما خرجت خفنا أن تكون هو، فنظرنا فإذا أنت لست هو، قال: فلم ذاك؟ قال: إن معه من أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإنما معك نفر يسير، قال: فوالذي نفسي بيده لأنا هو وإنهم لأمتي، إنهم أكثر من سبعين ألفاً ، وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً)[١] ولو رجعنا إلى توراة اليهود في وضعها الحالي لما وجدنا هذه النصوص الدامغة، ذلك لأن اليهود قوم بهت لا يرعوون في طمس الحقائق التي لا يرغبونها، ولو كانت أقدس مقدساتهم، فلا يجدون غضاضة في التحريف والتزييف مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك، يقول الله – تعالى – واصفاً لهم بذلك: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) [النساء: ٤٦]، ولكن الله – تعالى – إحقاقاً للحق ورحمة بعباده أبقى بعض الدلائل والإرشادات على نبوة محمد – عليه الصلاة والسلام – وطمس على أعينهم كي لا يروها فيحرفوها[٢] فقد جاء في سفر تثنية الاشتراع الفصل الثامن عشر : (فقال لي الرب قد أحسنوا فيما قالوا، أقيم لهم نبياً من بين أخوتهم مثلك، وألقي كلامي في فيه فيخاطبهم بجميع ما آمر به)[٣] ولا شك أن أخوتهم هم بنو إسماعيل، ويوضح ذلك أصدق توضيح ما ورد في سفر أشعيا من التوراة: (غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبل ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر)[٤] وقيدار هو أحد أبناء إسماعيل – عليه الصلاة والسلام- وقد سكن في برية جزيرة العرب، ومن بين الجبال كان موقع مكة المكرمة التي بُعث فيها النبي – عليه الصلاة والسلام – وسالع هو جبل (سلع) المطل على المدينة المنورة التي هاجر إليها [٥] ومن أهم الأدلة أيضاً أن عبد الله بن سلام وكان حبراً عالماً يقول: إنه جاء إلى الرسول – عليه الصلاة والسلام – فقال: أشهد أنك رسول الله ، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فأسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في، فأرسل نبي الله فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فأسلموا.. قال : فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعملنا وابن أعلمنا، قال: أفرايتم إن أسلم، قالو: حاشا لله، ما كان ليسلم، قال: ثلاثاً، ويقولون حاشا لله ما كان ليسلم، قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فقال: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله هو إنكم لتعلمون أنه

---

(١) ابن حبان في صحيحه كتاب علامات نبوة نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – باب فيما كان عند أهل الكتاب من علامات نبوته (٥١٨ – ٥١٩) رقم (٢١٠٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد كتاب علامات النبوة – باب ما كان عند أهل الكتاب من أمر نبوته – عليه الصلاة والسلام – (٨/ ٢٤٢)، وابن حجر في المطالب العالية كتاب المناقب – باب شهادة أهل الكباب بصدقه (٤/ ٣٠ – ٣١) رقم (٣٨٨١)

(٢) محمد في الكتب المقدسة (٢٩)

(٣) سفر تثنيه الاشتراع – الفصل الثامن عشر – الفقرات (١٨-١٩)

(٤) سفر أشعيا من التوراة الإصحاح (٤٢)، الفقرات (١٠-١٣)

(٥) محمد في الكتب المقدسة (٢٩)

رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت)[1] ومن الأدلة النافعة مع النصارى قول الله – تعالى –: (يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) [النساء: ١٧١ – ١٧٢] ففي الآيتين الكريمتين السابقتين يخاطب القرآن الكريم النصارى من أهل الكتاب وينهاهم عن الغلو وتجاوز الحد في دينهم، وذلك بإسباغ صفة الألوهية على عيسى بن مريم[2]، إذ هو عبد مجتبى لرسالة ربّه، خلقه بكلمة: كن، فكان، وهو روح[3] من عند الله لآن الله – تعالى – أرسل به جبريل – عليه السلام– إلى مريم، ثم يأتي القرآن لتصحيح إحدى أهم عقائد أهل الكتاب، وهي عقيدة التثليث، والثابت من التتبع التاريخي لأطوار العقيدة النصرانية يجد أن عقيدة التثليث... لم تصاحب النصرانية الأولى، إنما دخلت إليها على فترات متفاوتة التاريخ، مع الوثنين الذين دخلوا في النصرانية، والتثليث بالذات يغلب أن يكون مقتبسا من الديانات المصرية القديمة، وما تزال فكرة التثليث تصدم عقول المثقفين من النصارى، فيحاول رجال الكنيسة أن يجعلوها مقبولة لهم بشتى الطرق، ومن بينها الإحالة إلى مجهولات لا ينكشف سرها للبشر إلا يوم ينكشف سر من الأسرار. عن كل ما في السموات وما في الأرض، وتمضي الآيات الكريمة في تقرير حقيقة الوحدانية، وتبّين أن ألوهية الخالق تتبعها عبودية الخلائق، فعيسى – عليه الصلاة والسلام – ليس ابن الله، ولن يأنف ويستكبر أن يكون عبداً لله، ومثله الملائكة المقربون، ومن يأنف ويستكبر فإن مصيره إلى الله وسيحاسبه على كفره وعصيانه[4]. ولذا فإن الله – تعالى – وضح في كتابه إن من يجادل في نبوة عيسى له فسوف تناله اللعنة، يقول – تعالى – : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) [آل عمران: ٦٠ – ٦٢] فعن حذيفة – رضي الله عنه – قال : (جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريدان أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قال: إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً، حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (هذا أمين هذه الأمة)[5] فعلى الناصح أو المجادل لأهل الكتاب أن يوضح لأهل الكتاب أن دعوة محمد – عليه الصلاة والسلام – موافقة في الأصول لما دعا إليه الأنبياء والرسل السابقين، يقول الله – تعالى – : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [الشورى: ١٣]، ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء

---

(١) البخاري كتاب مناقب الأنصار – باب هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه إلى المدينة (٧/ ٢٤٩ – ٢٥٠)

(٢) يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله) البخاري كتاب الأنبياء (٦/ ٢٥٤)

(٣) قيل الروح: النفخ، وقيل رحمة منه ، وقيل سمي روحاً لأن الناس يحيّون به كما يحيون بالأرواح. انظر زاد المسير (٢/ ٢٦١ – ٢٦٢)، وأحكام القران (١/ ٥١٧).

(٤) أحكام القرآن (١/ ٥١٨)

(٥) البخاري كتاب المغازي – باب قصة أهل نجران (٣/ ١٦٩) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أبي عبيدة (٤/ ١٨٨٢).

إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[1] فلذا فإنه يجب على المجادل لأهل الكتاب أن يتعرف على أنواعهم وعقائدهم وبيئاتهم ولغاتهم وثقافتهم ودرجة تعليمهم، ومدى إلتزامهم بديانتهم من عدمها، وهل هم من متعصبي أهل الكتاب والداعين له، أو من أتباعهم الدين تشيع بينهم الخرافات والجهالات، وتديُّنهم إنما هو بسبب الفطرة ابتداءً وليس حباً في الديانة النصرانية أو اليهودية، وأن يركز في مجادلاته على استعمال الوسائل الدعوية المتنوعة وخاصة الوسائل المعاصرة: مثل وسائل الإعلام، وبرامج الحاسب الآلي، وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ففي هذه الوسائل نفع كبير بإذن الله – تعالى– وفائدة كبيرة للناس[2].

المطلب الثامن: الجدل السلمي في التحليل والتحريم:

إن أهل الأهواء والضلال في الغالب يدعون أن ما هم عليه من الضلال إنما هو من العلم الموروث عن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وأنهم في ذلك متبعون لا مبتدعون فينسبون إليهم الأباطيل، ويزعمون أنهم جاءوا بها، وقد كان اليهود يزعمون أن سليمان كان يملك بالسحر[3]، يقول ابن عباس – رضي الله عنهما – (فأنزل الله عن سليمان فيما قالوا من السحر)[4] فقال الله –تعالى – : (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) [البقرة: ١٠٢] ويقول أيضاً: (اجتمعت أحبار اليهود والنصارى عند رسول الله – عليه الصلاة والسلام – فقالت أحبار اليهود: والله ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت أحبار النصارى: والله ما كان إبراهيم إلا نصرانياً فأنزل الله الآية)[5] (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا) [آل عمران: ٦٧]، وكذلك النصارى عندما اتخذوا عيسى – عليه الصلاة والسلام – وأمه إلهين من دون الله ، زعموا إنما هو أمر من عيسى فأكذبهم الله – جل وعلا – بقوله: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [المائدة: ١١٦ – ١١٧]، ويقول أيضاً: (إن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – لما قدم البيت أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بإخراجها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله – عليه الصلاة والسلام – : (قاتلهم الله، أما والله قد علموا أنهما لم يستقسمان بها قط)[6] وهذه الأمور ما تزال موجودة حيث إننا نشاهد أن كثيراً من أهل الأهواء والضلال ينسبون ضلالهم إلى رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ويزعمون أنها من سننه، فالرافضة يدعون أن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – هو الذي وضع بذرة التشيع، وتعاهدها بيده الكريمة حتى نمت وترعرعت[7]، والمتصوفة يدَّعون أن

---

(١) البخاري كتاب الأنبياء – باب (واذكر في الكتاب مريم) (٢/ ٤٨٩) ، ومسلم كتاب الفضائل – باب فضائل عيسى عليه السلام (٤/ ١٨٣٧)

(٢) منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي – صلى الله عليه وسلم (٨٧)

(٣)التفسير المنير (٢٠/ ٧٩) ، وأيسر التفاسير (٢/ ٩٢٩)

(٤) ابن جرير في تفسيره (١/ ٤٤٤– ٤٤٥)

(٥) ابن اسحاق في سيرته (٢/ ٥٥٣) ، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٠٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة – باب وفد نجران (٥/ ٣٨٤)

(٦) البخاري كتاب الحج – باب من كبر في نواحي الكعبة (٢/ ١٦٠)

(٧) أصل الشيعة وأصولها (١٠٩) والتشيع والإسلام (١٤)، والاستبصار في النص (١٠ - ٢٠)

طريقتهم هي طريقة رسول الله – عليه الصلاة والسلام–[1]، والأباضية يزعمون أن ما هم عليه هو ما جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام – ، والقبوريون ينسبون قبورياتهم إلى رسول الله[2] – عليه الصلاة والسلام – لذا لابد لهؤلاء جميعاً من يجادلهم ويوضح لهم الحق من الباطل والحلال من الحرام، لذا فإنه ينبغي على المجادل مع المنكرين لتقرير الحلال والحرام، وما يترتب عليها، أن يتأسى بالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في دعوة أقوامهم، وذلك إما لإرشاد ضال، أو تثبيت متردد، أو إلزام منكر، أو قطع معاند، أو إفحام مبطل وملحد[3] أو لإبعاد المجادل عن تعصبه الممقوت، والأخذ بيده إلى الحقيقة[4]. فقد قاموا بعدد من الوسائل والأساليب لترغيب أقوامهم بفعل الحلال وترك الحرام، كوعدهم في حالة القيام بذلك بأن الله – تعالى – يجيب دعاءهم ويفرج كروبهم، يقول الله – تعالى – : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦]، وقد استجاب الله – تعالى – لدعاء أنبيائه – عليهم الصلاة والسلام – ، ومن ذلك إجابته لدعوة آدم وحواء بعد أن وقعا في المعصية، ثم أنابا إلى الله، واتجها إليه راجين رحمته ومغفرته، يقول الله – تعالى – : (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: ٢٣] وقال: (فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ٣٧]، وإنجاء يونس – عليه الصلاة والسلام – من الغم الذي حل به، عندما كان في بطن الحوت، يقول الله – تعالى – : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء: ٨٧ –٨٨] وكذلك وضحوا لهم أن مخالفة أوامر الله – تعالى – تؤدي إلى العذاب وهذا ما فعله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – مع أبيه محذراً عقاب الله – تعالى – ونقمته أن أقام على حاله من المعصية[5] فقال: (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) [مريم: ٤٤ – ٤٥]، وقد حاولوا تغير المنكر من العادات والأدناس وتطهيرهم منها وهم لا يشعرون بأدنى حرج[6]، وهذا ما فعله الرسول – عليه الصلاة والسلام – في دعوته لقومه مع عادتهم لشرب الخمر التي كانت متأصلة في نفوسهم، إذ كان تحريمها متدرجاً من الأدنى إلى الأعلى، فكان ابتداء ذلك بذكرها في مقام الامتنان بنعمه – تعالى – ، فقال الله – تعالى – : (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [النحل: ٦٧] ثم تدرج الأمر إلى المقارنة بين منافع الخمر ومضارها، ثم نفر منها بترجيح المضار على المنافع، يقول الله – تعالى – (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) [البقرة: ٢١٩]، ثم انتقل الأمر بأن جاء النهي عن قرب الصلاة في حالة السكر حتى يزول عنهم أثره، ويعلموا ما يقولونه في صلاتهم، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا

---

(١) أبجدية التصوف الإسلامي (١٠) ، وأصول الوصول (١/ ٣٢٢)، وهذه هي الصوفية (٢٠) ، ودراسات في التصوف الإسلامي (٥٦ – ٧١)

(٢) الحق المبين في الرد على صاحب الفرقان (٥٨)

(٣) منهج الجدل والمناظرة (١/ ٣١٦)

(٤) الحكمة والموعظة الحسنة (٤٢٥)

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٤)، وتأملات في سورة مريم (١٩٢)

(٦) الحكمة والموعظة الحسنة وأثرها في الدعوة (٢٣٣)

تَقُولُونَ) [النساء: ٤٣] ثم انتقل إلى أمر أعلى بأن نزل بعد ذلك التحريم القاطع للخمر في جميع الأوقات[١] فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) [المائدة: ٩٠ -٩١]، تقول عائشة – رضي الله عنها – : (إنما نزل أول ما نزل فيه أي القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)[٢] واستعملوا النصح بالتعريض دون التصريح وهذا ما فعله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – مع قومه فعندما لم يستجيبوا لنصحه فقام بالتعريض عن عجز الأصنام عن فعل أي شيء، فطلب منهم توجيه السؤال للأصنام حتى يظهر لهم عجزها، وذلك لإلزامهم بالحجة وتبكيتهم فقال لهم بعد أن قام بتكسيرها: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) [الأنبياء: ٦٣] وهذا الأمر الذي فعله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أنه انتقل مع قومه من القول إلى الفعل فقام بتحطيم الأصنام ليبين لهم عدم نفعها لنفسها أو لغيرها فقال: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ) [الأنبياء: ٥٧ -٥٨]، وهناك وسائل وطرق عديدة استعملها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مع أقوامهم في الجدل السلمي للتحليل والتحريم ومنها نصحهم في السر دون العلن كما فعل نوح – عليه الصلاة والسلام – يقول الله – تعالى – عنه: (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) [نوح: ٨-٩]، والمجادلة باللين والشدة على حسب طبيعة المقام، ومن مظاهر اللين، خطابهم بنداء فيه لين يشعرون أن هناك رابطة تجمعهم وعصمة تربطهم[٣]، وجاء هذا في دعوة نوح وهود وصالح وشعيب – عليهم الصلاة والسلام – فقد خاطبوا أقوامهم بقولهم: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الأعراف: ٥٩ ، ٦٥، ٧٣، ٨٣] وظهر هذا الأمر جلياً في دعوة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لأبيه وقومه، فقد دعا كلا منهم باللين والاستعطاف الذي ظهر في خطابه بقوله: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) [مريم: ٤٢] (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) [الأنعام: ٧٨] أما استخدامه للشدة فإنه قال لهم بعد ذلك: (أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنبياء: ٦٦] وهذا ما فعله موسى مع أخيه هارون – عليهما الصلاة والسلام – خوفاً من أن يكون قد قصر في نهي قومهم الذين عبدوا العجل حين غياب موسى – عليه الصلاة والسلام – يقول الله – تعالى – : (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [الأعراف: ١٥٠]، وهناك العديد والعديد من الأساليب التي استخدمها الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – ومنها مراعاة أحوال وظروف المدعوين، وتذكيرهم بنعم الله – تعالى – وبمصير الأقوام المكذبين، وإظهارهم للحكمة من الوعظ والجدل السلمي، وإرشاد العصاة إلى البديل الحلال، والترغيب بالوعد الخير العاجل في الدنيا، والإمداد بالخير الوفير فيها، والترغيب بالوعد الخير الآجل في الآخرة، والوعد بالرحمة والمغفرة، والفوز بالجنة ونيل رضوان الله – تعالى– فعلى الدعاة التأسي بالأنبياء –

(١) مباحث في علوم القرآن (١٠٢)

(٢) البخاري كتاب فضائل القرآن – باب تأليف القرآن (٩/ ٣٩)

(٣) الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة (١٨٦)

عليهم الصلاة والسلام – بإتباع أسلوب الجدال السلمي في دعوة الناس إلى الله – تعالى – بلا تحامل على المخالف ولا تزذيل له ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تتنازل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق والجدل بالحسنى وهو الذي يقلل من هذا الكبرياء ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة والاهتداء إليها في سبيل الله[١].

المبحث الثاني: قواعد الجدل السلمي وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: إخلاص النية لله – تعالى – :

يأخذ الجدال السلمي بوصفه أسلوباً تربوياً حيزاً كبيراًَ من اهتمام الدعاة والناصحين والمربين، وذلك لأثره الوقائي – العلاجي الإيجابي المهم، فيصفون مقدماته وآدابه ومقوماته، بغية الوصول إلى المنهج السلمي الموصل إلى الثمرة المرجوة من وراته، وهم يعلمون ابتداء أن الإنسان لم يولد وقد امتلك مقومات الجدال وآدابه، وإنما يحصل ذلك من خلال التربية والتوجيه، وانطلاقاً من كون الجدال السلمي حقاً متبادلاً بين الناس وأهميته في مساعدة الدعاة والناصحين على تحقيق واجبهم نحو صياغة فكر منهجي بعيد عن التبعية والتقليد، ويقودهم إلى فهم واع موضوعي ورؤية واضحة ناضجة، كان لابد على الداعي إلى الله – تعالى – أن يأخذ بقواعد الجدال السلمي ومن أولها إخلاص النية لله – تعالى – والإخلاص هو نصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين[٢]، وقيل: هو التبرئ عن كلّ ما دون الله – تعالى –[٣] وقيل: هو تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدَّر لصفائه[٤]، وقيل: هو روح كل عمل، والأعمال التي يستعظمها الناس لا وزن لها عند الله – عزوجل – إذا فقدت هذه الروح[٥]، فالإخلاص هو روح الدين، ولباب العبادة، وأساس أي داع إلى الله، فإذا تضاءل هذا المعنى لم يبق هنالك ما يستحق الاحترام لا في الدنيا ولا في الآخرة[٦]، ولذا أمر الله – تعالى – به، يقول الله – تعالى – : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [البينة: ٥] وقال: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [الزمر: ٢–٣] وقال: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]، وقال: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) [الملك: ٣]، قال الفضيل بن عياض – يرحمه الله– : (أحسن عملاً) أي: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب: أن يكون على السنة)[٧] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – (إن الله لا ينظر إلى

---

(١) المصدر السابق (٤٢٥)

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩١)

(٣) المفردات في غريب القرآن (١٥٤)

(٤) التعريفات (٣٤)

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعمري (٣٥٦)

(٦) مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة (٢٠٢)

(٧) مدارج السالكين (٢/ ٩٣)

أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)[1] ويقول: (ثلاث لا يغل عليهم قلب أمرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم)[2] وعلامة الإخلاص الانفعال بالدعوة والتحمس لها، وإيصال منهجها للناس، وبذل أقصى الجهد في تبليغها، وذلك لأن من أخلص لشيء أعطاه كل ما يملك فماله ووقته وجهده وفكره وكل إمكاناته لا بد أن تكون كلها في خدمة منهج الدعوة وتحت تصرفه، ولنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأسوة الحسنة، حيث أعطى الدعوة كل ما يستطع، ولم يترك فرصة يقدر فيها على تبليغ الدعوة إلا قام بها، ولم يكن يطلب جزاءً ولا شكوراً[3] يقول الله – تعالى – : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) [الشورى: ٢٣]، فالإخلاص أهم أدب يجب على الإنسان أن يتأدب به، بل إنه أصل كل عبادة يتعبد بها العبد، فما أن يجعل الفرد حركاته وسكناته ودقائق حياته خالصة لله، فإنها ستكون في منزلة العبادة يؤجر عليها ويثاب، وحقيقة الإخلاص ألا يبتغي المجادل من جداله مع الآخر إلا وجه الله – تعالى – وابتغاء مرضاته، وطلب حسن مثوبته، وبيان الحق والذب عنه، ودلالة الناس على الهدى وتثبيتهم عليه، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله – : (لابد من حسن النية فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء، وإن تكلم لأجل الله– تعالى– مخلصاً له الدين كان من المجاهدين *في سبيل الله ومن ورثة* الأنبياء خلفاء الرسل)[4] وإن مما يقدح في الإخلاص وينافيه الرياء والسمعة وطلب الشهرة، والتعصب للرأي، والرغبة في العلو والانتصار يقول الخطيب البغدادي – يرحمه الله –: (ويخلص النية في جداله بأن يبتغي وجه الله – تعالى – ... وليكن قصده في نظره إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم)[5] فلذا فإنه ينبغي على الفرد المجادل الذي يدخل في مجالات الجدال والتفاعل مع الآخرين ألا يذهب عن إدراكه وحسه، وجوب الإخلاص لله – عزوجل – وإحسان النية له سبحانه، خصوصاً إذا علا رأيه فوق الآراء، وقويت عباراته، وصارت أقرب ما يكون إلى الاقناع، فإنه لابد أن يحذر من العجب والثناء والفخر والتعالي والتشدق لأن حرارة الإخلاص تنطفئ رويداً رويداً كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة، وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه، وبُعد الصيت والرغبة في العلو والافتخار[6] ويتحول حينها من طالب الحق، والباحث عن الخير إلى مرائي يستعرض قدراته ومهاراته أمام الآخرين، والحق أن الرياء من أفتك العلل بالأعمال، وهو إذا استكمل أطواره، وأتم دورته في النفس أصبح ضرباً من الوثنية التي تقذف بصاحبها إلى سواء الجحيم، لأن الرياء شكل من أشكال الشرك الخفي الذي نهنيا عنه ، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (من قام بخطبة لا يلقي بها إلا رياء وسمعة أوقفه الله – عزوجل – يوم القيامة موقف ريا وسمعة)[7] فإن النية الحسنة والإخلاص لله - عزوجل - في الجدال السلمي مسألة مهمة جداً لأنها فوق ما رغَّب الإسلام فيها وحث عليها، وعلى قدر ما حذر من تركها، وهدد وتوعد، فإن النية الحسنة هي التي تدفع أطراف الجدال إلى قول الحق وطلبه، والسعي إليه دون سواه، وأن يكون ذلك من

(١) مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.. (٤/ ١٩٨٧)

(٢) ابن ماجه في سننه المقدمة – باب من بلغ علماً (٨٤/١) وقال الإلباني : صحيح انظر صحيح سنن ابن ماجة (١/ ٤٤-٤٥) رقم (٢٣٠)

(٣) صفات الدعاة للعمار (٣٣)

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٥)

(٥) الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٥-٢٦)

(٦) خلق المسلم (٤٧)

(٧) الإمام أحمد في مسنده (١٢/ ٤٤١) حديث رقم (١٦٠١٨)

أجل الله ولا يكون من أجل علو شخصي ومحاولة الوصول إلى مآرب شخصية، وأهداف فردية ذاتية، وهنا يمكن للداعي أن يصحح نيته قبل الدخول في الجدال، وذلك بمساءلة النفس عن الغرض من الجدال؟، وهل هي إرادة الحق فحسب، أم أن هناك نوايا أخرى قد تفسد عليه نيته؟ ورغبته في الوصول إلى الحق، فقد تتوهم بعض النفوس أنها تقصد إحقاق الحق، وواقع دخيلتها أنها تقف موقف انتصار ذاتي وهوى[1]، ومن ثم يفسد الجدال، ويخرج به من دائرة الألفة والاتفاق إلى دائرة الخصومة واللجاجة والجدال المذموم، وقد ضرب الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – أروع الأمثلة في إخلاص دعوتهم لله – تعالى – في جدالهم مع أقوامهم، فهذا نوح – عليه الصلاة والسلام – يقول : (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) [هود: ٢٩] وهود – عليه الصلاة والسلام – يقول : (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [هود: ٥١]، وصالح – عليه الصلاة والسلام يقول : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء: ١٠٩]، وشعيب – عليه الصلاة والسلام – يقول: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود: ٨٨] فعلى الداعي أن يتأسى بهم حتى ينجح في دعوته لغيره.

المطلب الثاني: العلم النافع:

ويعد العلم من القواعد والمقومات الأساسية للجدال السلمي، ومن أهم أسباب نجاحه وبدونه يصبح الجدال هدراً للوقت وضياعاً للجهد، والعلم المقصود هو العلم بموضوع الجدال ووسائله والقدرة على النظر والموازنة والاستنباط والاستدلال والترجيح بين الأدلة المختلفة، ولا يجوز الخوض في الجدال قبل استكمال أدواته العلمية والعقلية، وذلك لأن العلم هو الوسيلة الصحيحة للتفكير السليم، ومن ثم الوصول إلى الحق، ولذا ذكر الله – سبحانه وتعالى – الذين يجادلون في الله بغير علم فقال – عزوجل – : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) [الحج: ٨ – لقمان: ٢٠] كما أنكر على أهل الكتاب محاجتهم بدون علم حيث يقول: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [آل عمران: ٦٦]، يقول القرطبي – يرحمه الله – : (في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له)[2] فلا يصلح أي إنسان للجدال حتى وإن كان صاحب حق، فإنه ربما جادل بهدف نصرة الحق فيخذل الحق، بضعف علمه وبصيرته، وربما جادل بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه، وربما احتج بحجج باطلة مثلما يحدث في بعض المناظرات والمحاورات التي تعقد في الآونة الأخيرة، فلا يقتنع الناس بالحق الذي معه، ولذلك فإن أهل السنة والجماعة نهوا عن مناظرة المبتدعة، لئلا يناظرهم من ليس قادراً على إفحامهم وإظهار الحجة عليهم، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله -: (وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما نُهي الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قويا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة)[3] وتزداد أهمية العلم في الجدال حينما يكون الطرف الآخر عالماً متمكناً من علمه، ولسانه ألحن، ومنطقه أقوى، وحجته أدمغ، فلا بد أن يواجهه حتى يساويه في القوة والفصاحة والعلم،

---

(١) الحوار أدبه وضوابطه (٢٧) وأصول الحوار (٢١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٠)

(٣) درء تعارض العقل (٧/ ١٧٣)

لأن الجاهل بالشيء ليس كفؤاً للعالم به، ومن لا يعلم لا يجوز أن يجادل من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في محاجته لأبيه حين قال: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)[1] [مريم: ٤٣] ليظهر لنا جلياً أهمية العلم للمجادل، إذ لا يجوز للإنسان أن يدخل في ساحة الجدال قبل أن يستكمل أدواته العلمية والعقلية[2]، وهذا الذي يؤهل المجادل تأهيلاً يجعله قادراً على الدخول في مجادلات سليمة يطلب من خلالها الحق والخير الذي ينفع البلاد والعباد، فمن الخطأ بمكان أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق أو لا يجيد الدفاع عنه، ومن غير المقبول أن يقوم غير متخصص ليعترض على مختص فيخطئه ويغلطّه والواجب على من لا يعلم أن يسأل ويتفهم لا أن يعترض ويجادل بغير علم.

لذا فإن من أولويات أهداف منهج الدعوة هو : نشر العلم والمعرفة الصحيحة، المستندة إلى الأصول والمصادر الصحيحة، وللعلم في الإسلام أهميته ومكانته الرصينة يقول الله – تعالى – : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر: ٩] والمسلم مطالب بالتزود من العلم كما يقول الله – سبحانه وتعالى – : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (بلغوا عني ولو آية)[3] والنصوص المرغبة في طلب العلم والحث على إيصاله للناس والمشيدة بمكانه العلماء أكثر من أن تحصى[4] ومنهج الدعوة يهدف إلى نشر العلم بين الناس لتقوم الحجة على الخلق، وتتضح المحجة، وليعرف الناس دين الله – تعالى – ويفهموا شريعته، ويستدلوا على الحلال فيتبعوه ويتعرفوا على الحرام فيجتنبوه إلى غير ذلك من المقاصد والفوائد، وبهذا يتضح أهمية هذا الأمر الذي يسعى الدعاة إلى نشره بين أوساط المسلمين أفرادا أو مجتمعات بالوسائل والأساليب الممكنة، وبخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه وسائل التعلم والإعلام وتنوعت إلى حد كبير، والعلم الذي يتصف به المجادل هو العلم بمفهومه الشامل الديني والدنيوي الذي يغير الإنسان في حياته وآخرته ويعينه على عمارة دنياه وآخرته، كما يزيد من أسباب قوته وتمكينه في الأرض، ويجعله في مركز يصعب على الأعداء اختراقه ومناوئته.

المطلب الثالث: الاعتراف بالآخر واحترامه:

إن المنطق الصحيح في إجراء أي جدال مع الغير هو الاعتراف بهذا الآخر، واحترامه وقبوله كما هو، ومن ثم قبول الاختلاف معه، فهذا الاختلاف في منظور الإسلام إنما هو من آيات الله – سبحانه وتعالى – الدالة على مشيئته وقدرته وحكمته، حيث يقول الله – تعالى – : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) [الروم: ٢٢] ويقول: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) [المائدة: ٤٨]، وقد يصل أمر هذا الاختلاف إلى الاختلاف في الدين على نحو وضحه – سبحانه وتعالى – : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون: ٦] إلا أن هذا الاختلاف ينبغي أن لا ينسي المختلفين أنهم من نفس واحدة وهي آدم – عليه الصلاة والسلام – يقول الله – تعالى – : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

---

(١) أصول الحوار وآدابه (٢٢)

(٢) الحوار أصوله المنهجية (٢٢)

(٣) البخاري كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٢/ ٤٩٣) رقم (٣٤٦١)

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧)

وَاحِدَةٍ) [النساء: ١]، كما ينبغي أن لا ينسيهم أن الله كرم الإنسان من حيث هو إنسان، يقول الله – تعالى – : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ) [الإسراء: ٧٠] وأن لا ينسيهم ما هم مطالبون به من تعارف وتعاون على الخير، يقول الله –تعالى–: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة: ٢] ويقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: ١٣]، ولكي يتحقق هذا التعارف والتعاون ورد الحث في القرآن الكريم على الاعتراف بالآخر واحترامه، يقول الله – تعالى –: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [آل عمران: ١٩٩] ويقول أيضاً عن أهل الكتاب: (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ١٦٢] واحترام الطرف الآخر في الجدال يعني كذلك عدم السخرية منه والاستهزاء به والطعن فيه، يقول الله – تعالى – : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) [الحجرات: ١١] ويقول: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ) [النساء: ١٤٨] وهو موقف ينبغي التزامه حتى مع المخالف في الدين[١] امتثالاً لقول الله – تعالى – : (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: ١٠٨]، ولذا فإن الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا ملتزمين بهذه الآداب فقد دارت كثير من الحوارات والمناظرات بينهم، ولم نجد خلال تلك التداولات أدنى سخرية أو استهزاء من طرف آخر، بل نجد احتراماً وتقديراً وتبجيلاً، مع خلافهم في تلك المسائل، فلقد اختلف أبو بكر وعلي – رضي الله عنهما – في مسألة الميراث من الفيء، حتى بلغ الخلاف ما بلغ، إلا أن ذلك لم يفقد أحدهما تقدير الآخر واحترامه، يقول القرطبي – يرحمه الله – : (متى تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم يعترف بفضل الاخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة)[٢] وما كان هذه الأدب الجم من الصحب الكرام – عليهم رضوان الله – إلا بما تعلموه وتأدبوا به من سيد البشر، أجملهم خلقاً، وأكثرهم أدباً، الذي أدبهم على ذلك، تقول عائشة – رضي الله عنها– : (أمرنا رسول الله – عليه الصلاة والسلام – أن ننزل الناس منازلهم)[٣] ، ومن إنزال الناس منازلهم أن تقدر من تجادل، وتحترمه وتوقره، حيث إن الاحترام والتقدير للطرف الآخر في المجادلة يتأكد إذا كان صاحب فضل أو علم، أو كبير سن، فالإسلام يعد احترام الكبير والعالم وصاحب الفضل من الأصول الأخلاقية الكبرى[٤] بل إن من لم يتمتع بهذه الخصلة فإنه لا يستحق أن يكون منتسباً إلى الإسلام فإن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – يقول: (ليس من أمتي من لم يُبَّجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه)[٥] وبهذا الأمر ينشئ النبي – عليه الصلاة والسلام – روابط قوية وأساسات راسخة في أسلوب التعامل بين الطبقات والأجيال، فإذا ما دار الجدال وجب على المجادل أن يحترم الآخر ويقدره، فقد يكون أميراً أو وزيراً له فضل ومكانة، أو عالماً مفوهاً له العلو والرفعة والمهابة، أو كبيراً له واجب التقدير والإكبار.

---

(١) الحوار من منظور إسلامي (٣٤ – ٣٦)

(٢) ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٦٣٠)

(٣) مسلم في المقدمة – باب حال بعض الرواة (١/ ٥٥)

(٤) النصيحة (١٠/ ٣١)، وشخصية المسلم (٢٢٥)

(٥) أحمد في مسنده (١٦/ ٤١٢) حديث رقم (٢٢٦٥٤)

المطلب الرابع: التجرد لطلب الحق:

التجرد لطلب الحق منطلق أساس من منطلقات الجدال السلمي في الفكر الإسلامي، ويقصد به استهداف الحق والسعي الجاد إلى الوصول في الحقيقة بوصفها ضالة المؤمن يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها)[١] ويقتضي ذلك من المجادل اجتناب التعصب لوجهة نظر مسبقة والتمسك بفكرة أو قناعة يرفض نقضها أو مخالفتها، فإن هذا التعصب يتنافى كلية مع طبيعة الجدال السليم الذي يعني الانفتاح على الآخر وتبادل الأفكار، وتداول الأطروحات معه، فإن طبيعة الجدال السلمي المنشود تقتضي من طرفي الجدال الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة والأخذ بها وتطبيقها عند ظهورها، وقد أرشدنا الله – تعالى – إلى الأخذ بهذا المبدأ قائلاً: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [سبأ: ٢٤] وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب لفكرة سابقة، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة أنى كانت ومن أين صدرت[٢] يقول معاذ بن جبل – رضي الله عنه – : (اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً – أو قال: فاجراً واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نور)[٣] فينبغي أن يكون المجادل في طلب الحق كما يقول أبو حامد الغزالي – يرحمه الله – : (كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو يد من يعاديه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرَّفه على الخطأ أو أظهر له الحق)[٤]، ويقول الشافعي – يرحمه الله – (ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ)[٥] ويقول أيضا: (ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويُعان، وما كلمت أحداً قد إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه)[٦]، ويقول ابن رجب – يرحمه الله – معلقاً على كلامه: (وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره ممن يناظره، أو يخالفه، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يكره أن يُردَّ عليه قوله)[٧] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – : (لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني – فضلاً عن الرافضي – قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه الباطل دون ما فيه من الحق)[٨]، ويقول أيضاً: (ليس مما أمر الله به رسوله، ولا مما يرتضيه عاقل أن نقابل الحجج القولية بالمعاندة والجحد، بل قول الصدق وإلتزام العدل لازم عند جميع العقلاء وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم)[٩] فالمجادل إذا شارك في مجالس الجدال ومنتدياته وهو يريد الحق، فإنه لابد أن يتمتع بالعدل والإنصاف، إذ لا ينفع الجدال إلا بهما، فالظلم يمنع من الاستماع والنظر والتفحص لكلام الآخر، ولا يبصر الحق بمثل هذه الطريقة، والإنصاف دليل على حسن القصد وتلمس الحق وطلبه ولو على لسان مخالفك[١٠] وقد كان من أدب النبي – عليه

(١) الترمذي في سننه كتاب العلم – الباب (١٩) (٥/ ٥١) حديث رقم (٢٦٩٢) وقال: حديث غريب

(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير (٣٣)، والحوار من منظور إسلامي (٥٣-٥٤)

(٣) أبو داود في سننه كتاب السنة – باب لزوم السنة (٤/ ٢٠٢) ، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ١٠١-١٠٢)

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٤٤)

(٥) آداب الشافعي ومناقبه (٩١) ، والفقيه والمتفقه (٢/ ٢٦)

(٦) الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٦)

(٧) المصدر السابق (٢/ ٢٦ -٢٧)

(٨) منهاج السنة (٢/ ٢٤٢)

(٩) درء تعارض العقل (٩/ ٢٠٧)

(١٠) أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة (٥٤٩)

الصلاة والسلام – وصحبه الكرام في مجادلتهم مع المخالفين غير المؤمنين، حتى كان من قمة ما نالوا من هذا الأدب أنهم انصفوا الشيطان في جدالهم، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (وكلني رسول الله – عليه الصلاة والسلام – بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله – عليه الصلاة والسلام – قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي – عليه الصلاة والسلام – :(يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله ، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود) فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله – عليه الصلاة والسلام – أنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله – عليه الصلاة والسلام–:(يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟) قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: (إما إنه قد كذبك وسيعود) فصدقته فجاء يحثو من الطعام فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله، فقال لي رسول الله – عليه الصلاة والسلام –: (ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: (وما هي؟) قلت: (قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية : (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: ٢٥٥] وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي – عليه الصلاة والسلام – : (أما أنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟) قال: قلت : لا، قال: (ذاك شيطان)(١) فانظر كيف كان عدل رسول الله – عليه الصلاة والسلام – وانصافه حين صَّدق على كلام الشيطان، مع أنه كذوب في صفته وطبعه، وكيف فرق – عليه الصلاة والسلام – بين الفكرة وصاحبها، فالفكرة التي تعلمها أبو هريرة – رضي الله عنه – هي فكرة صائبة وسليمة، أما صاحبها فهو ممن لا يؤخذ بقوله، ولا يقتدى أثره، بل نُهينا عن إتباع خطواته، ومع هذا أخذنا فكرته، وهذا ما يتطلبه الجدال السلمي من إنصاف الآخر فيما يقول، إن حقاً أُخذ به، وإن كان غير ذلك فلك الخيار في الأخذ أو الترك، إلا أنه لابد أن نفرق بين المخالف وبين ما يقول من أفكار ومقترحات، حتى تستطيع أن ننصف الآخرين، ونحقق في الجدال مبدأ العدل والإنصاف.

المطلب الخامس: تحديد موضوع الجدل وهدفه:

موضوع الجدال هو جوهر عملية المجادلة ولبها، لذا لابد من الاتفاق من قبل الأطراف المتجادلة على موضوع محدد أو قضية محددة يدور حولها الجدال والنقاش، فإن ذلك يُعد عاملاً مهماً من عوامل إنجاح هذا الجدال، وجني ثمراته الطيبة، وافتقاد هذا التحديد يؤدي إلى بعثرة الأفكار المطروحة وضبابيتها وعدم وضوحها، ويحول الجدال إلى لجاج وجدل عقيم لا يجدي نفعاً ولا يحقق كسباً، وقد يختلف المتجادلان في مسائل عديدة وليس على مسألة واحدة، ثم يحدث

(١) البخاري كتاب الوكالة – باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل (٤/ ٣٨٣ – ٣٨٤)

الجدال السلمي بين الطرفين في مسائل الخلاف مجتمعة في آن واحد، فينتقل الجدال من مسألة إلى أخرى بدون أن يُتفق على المسألة الأولى، فيتشعب الجدال ويطول في أمور فرعية بعيدة عن موضوع الجدال فيكون عائما لا زمام له ، ولا شك أن الاستمرار بهذه الطريقة يُعد تبديداً للجهود وإضاعة للوقت، خاصة وأن بعض المتجادلين يلجأ إلى الهرب والمراوغة، فإذا وجد أن الطرف الآخر أظهر عليه الحجة فَّر إلى جزئية أخرى وتشبث بها، أو تعلق بمسائل جانبية طرحها الجانب الآخر بعيدة عن مجال الخلاف أو بمسائل ذات أثر محدد في القضية المتجادل عليها، والمنهج العلمي في الجدال يقتضي تحديد نقاط الاختلاف بين المتجادلين بدقة، ثم ترتب في سلم المجادلة الواحدة بعد الأخرى، يبدأ بالأهم فالمهم، فينتقل الجدال من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزيئات بتناسق علمي، فليس من الصواب أن نناقش الفروع قبل الاتفاق على الأصول وكان الإمام الشافعي – يرحمه الله – إذا ناظره إنسان في مسألة انتقل إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد، فلذا كان لا بد من تحديد موضوع معين، ومحاور محددة يدور حولها الجدال دون لغط أو ثرثرة أو مراوغة، مما يحقق المقصود، ولعل من الجدال الذي دار بين عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – وبين الخوارج ما يبين هذا الأمر، فقد أرسل علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس – رضي الله عنهم – إلى الخوارج، فذهب إليهم ابن عباس – رضي الله عنهما – وعليه حُلة جميلة، فقالوا له: يا بن عباس ما الذي جاء بك؟ وما هذه الثياب التي عليك؟ فقال: أما الثياب التي علي فما تنقمون مني؟ فوالله لقد رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليه حلة ليس أحد أحسن منها، ثم تلا قول الله – تعالى – : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٢]، قالوا: ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟ قال: جئتكم من عند أصحاب النبي – عليه الصلاة والسلام – وليس فيكم أنتم يا معشر الخوارج واحد من أصحاب النبي – عليه الصلاة والسلام – وجئتكم من عند ابن عم رسول الله – عليه الصلاة والسلام – يعني علي بن أبي طالب، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم، فأنا رسول – أي وسيط – بينكم وبينهم، قال بعضهم: لا تحاوروا ابن عباس ولا تخاصموه فإن الله – تعالى – يقول عن قريش: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف: ٥٨] فلما خافوا من الهزيمة قالوا اتركوا جدل إنسان خصم، وقال بعضهم: بل نكلمه، ولننظر ماذا يقول؟ قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: (فكلمني منهم اثنان أو ثلاثة، فقال لهم: ماذا تنقمون على علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثة أمور، قال: هاتوا، قالوا: الأول: إن علي بن أبي طالب حكم الرجال في كتاب الله، والله – تعالى –يقول: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) [الأنعام: ١٥٧] قال: هذه واحدة، فما الثانية؟ قالوا: الثانية إن علي بن أبي طالب قاتل ولم يُسب، أي قاتلهم وما سبى نساءهم، فلئن كانوا مسلمين فقتاله حرام، ولئن كانوا كفاراً فلماذا لم يُسبِّهم؟ قال: وهذه أخرى، فما الثالثة؟ قالوا: الثالثة أنه نزع نفسه عن إمرة المؤمنين، وقال علي بن أبي طالب، قال: أوقد فرغتم؟ قالوا: نعم، قال: أما الأولى فقولكم حكم الرجال في كتاب الله – تعالى – فإن الله – تعالى – يقول في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) [المائدة: ٩٥] فذكر الله – تعالى – حكم ذوي عدل فيما قتله الإنسان من الصيد سألتكم الله – تعالى – التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أعظم أم التحكيم فيما قتله الإنسان من الصيد؟ قالوا: لا بل

التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أعظم، قال فإن الله — تعالى — يقول في كتابه: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) [النساء: ٣٥] أناشدكم الله — تعالى — التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أهم، أو التحكيم في بضع امرأة؟ قالو: لا التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم، قال: انتهت الأولى؟ قالوا: نعم، فالثانية، قال: أما الثانية، فقولكم قاتل ولم يسب؟ هل تسبون أمكم عائشة — رضي الله عنها — لأنها كانت الطرف الآخر، وتستحلون منها ما يستحل الرجال من النساء إن قلتم ذلك كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا كفرتم أيضاً لأنها أم المؤمنين فاستحيوا ذلك وخجلوا، قالوا، ما الثالثة؟ قال: أما قولكم خلع نفسه من إمارة المؤمنين، وإذا لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فإن النبي — صلى الله عليه السلام – لما عقد كتاب الصلح مع أبي سفيان وسهيل بن عمرو في صلح الحديبية، قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، قالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، اكتب اسمك واسم أبيك، فمحا النبي — صلى الله عليه وسلم — الكتابة وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فرجع منهم الفان، وبقي بقيتهم)[١] ومن خلال هذا الجدال نجد حرص عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — ألا ينتقل من موضوع حتى يؤكد عليهم أخرجت من هذا؟ فإذا قالوا: اللهم نعم، انتقل إلى المسألة الثانية وهكذا، أما في حالة اشتداد سير عميلة الجدال، يندفع كل طرف إلى تقوية قوله، وإظهار الحق على لسانه، مما يدفعه إلى الخروج عن موضوع الجدال، لذلك على المجادل أن يحرص ما استطاع إلى ذلك سبيلاً على التركيز في الحديث، والنجاة من الاستطراد والشتات، وأن يصل بالحديث إلى نتيجة واضحة محددة، وإذا ما ضاع الموضوع عن تركيز المجادل — انتقل من مسألة إلى مسألة، ومن فكرة إلى فكرة، فتتشعب أقواله، وتتضارب كلماته، ويخفى المقصود ويزداد الغموض، فيصبح الجدال عائماً لا زمام له، سائباً لا ينتهي إلى نتيجة، والاستمرار بهذه الطريقة يُعد تبديداً للجهود وإضاعة للوقت[٢]، لذا وجب التأكيد على المجادلين الالتزام بموضوع الجدال الذي تم تحديده والاتفاق عليه.

المطلب السادس: الاتفاق على أصول مرجعية للجدال:

من المؤكد أنه لا يستقيم أي جدال بين طرفين لا يستند إلى مرجعية واحدة معتمدة يكفل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات وضبط الجدال وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وإذا كانت أطراف الجدال تنتمي إلى الإسلام فينبغي اتخاذ النص الشرعي أصلاً مرجعياً معتمداً للجدال بين هذه الأطراف استجابة لأمر الله — تعالى — في قوله: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) [النساء: ٥٩] وقوله: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) [الشورى: ١٠]، فالرد إلى الكتاب والسنة النبوية الصحيحة هو الذي يدرأ النزاع ويقطع دابر الخصومة، فبهما يُعرف مراد الله ومراد رسول الله — عليه الصلاة والسلام — يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — (فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله)[٣] ويقول الشاطبي — يرحمه الله –: (إن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا، فإن لم يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهما فائدة بحال، وإن كانت الدعوى لا بد لها من دليل، وكان الدليل عند الخصم متنازعاً فيه فليس عنده بدليل، فصار الإتيان به عبثاً لا يفيد فائدة ولا يحصل مقصوداً، ومقصود المناظرة: رد الخصم إلى الصواب

---

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٣٢٩) ، والبداية والنهاية (٧/ ٣٠٢ — ٣٠٤) وآداب الحوار (٨/ ١٣)

(٢) الحوار وآدابه (٦٤)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٢)

بطريق معرفة، لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف مالا يطاق، فلابد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل، وعلى ذلك دل قوله – تعالى –: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) [النساء: ٥٩] لأن الكتاب والسنة لا خلاف فيها عند أهل الإسلام، وهما الدليل والأصل المرجوع إليه في مسائل التنازع)[١]، وأما إذا كان أحد طرفي الجدال من غير المسلمين، فينبغي الاتفاق على مرجعية معتمدة ومعترف بها من قبل الطرفين، كالقواعد الدينية السماوية العامة، والأسس الحضارية المشتركة، والقيم والمثل الإنسانية العليا، وقواعد العقل البشري السليم، والثوابت والمسلمات، ونحو ذلك من المرجعيات الكبرى المعتمدة لدى مختلف الأديان والفئات والأجناس البشرية التي يعرف بها الحق من الباطل والراجح من المرجوح، والفاضل من المفضول، وما لم تتوافر هذه الأصول المرجعية فإن الجدال سيسير في دائرة مغلقة تطول ولا تصل إلى نهاية، إن كل تلك المبادئ والأسس والمقومات وغيرها، هي التي يستند إليها المجادل المسلم، ويرتكز على مرتكزاتها، وتعد بالنسبة له أصولاً لا مناص منها ولا مفر، وإن أي جدال مثمر لابد أن ينطلق من أصل معتمد كالعقيدة الإسلامية والتمسك بها، ويعمل على تقوية التمسك بها، فلا حياة لنا إلا بالإسلام، ولا عزة لنا إلا بالوحدة.

المطلب السابع: الانطلاق في الجدال من نقاط الاتفاق:

ينبغي ألا يبدأ الجدال بنقاط وجزئيات مختلف فيها بين الفريقين، بل بنقاط متفق عليها أو قواعد مسلمة أو بدهية، ثم يتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم منها إلى مواضع الخلاف، فإن ذلك أدعى إلى تقريب الشقة، وأحرى إلى تحقيق الوفاق والتوصل إلى نتائج سليمة يرتضيها الطرفان، وهذا هو منهج القرآن الكريم فلقد جادل بشتى الوسائل للانطلاق في جداله مع الآخرين من أرضية مشتركة يتفقان عليها، ومن ذلك على سبيل المثال قوله – تعالى – : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٦٤] أي إننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يُعرفنا على السنة أنبيائه ما يرضيه من العمل ومالا يرضيه، فتعالوا معاً نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها، ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلمنا أن فيما جاءكم من نبأ المسيح شيئاً فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعاً على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء، فإن سلمنا أن المسيح قال: إنه ابن الله، قلنا هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟ وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه؟ أم كان يدعو إلى عبادة الله وحده والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل[٢]، فإذا سلمنا بهذا الأصل، واتفقنا على أصل نرجع إليه، فمن هنا لا داعي أن نتجادل في تلك الأمور، بل علينا أن نتجادل في الأمور المختلف فيها، لذلك عد السلف الصالح الجدال والتناظر في الأمور المتفق عليها جدالاً مذموماً ومراءً وخصومة يحبط العمل، يقول العوام بن حوشب:(إياكم والخصومات في الدين فإنها تحبط الأعمال)[٣] ويقول أبو حنيفة – يرحمه الله –: (عليك بالأثر وطريقة

---

(١) الموافقات (٤/ ٣٣٥)

(٢) تفسير المنار (٣/ ٣٢٦)

(٣) القرطبي في تفسيره (٢/ ٣١٧)

السلف وإياك وكل محدثه فإنها بدعة)[1] ويقول أيضاً: (رأيت المشتغلين بالكلام ليس سيماهم سيم الصالحين، قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم لا يبالون بمخالفة الكتاب والسنة والسلف الصالح ولو كان خيراً لاشتغل به السلف الصالحون)[2] ويقول الشافعي – يرحمه الله– : (لأن يبتلي الله المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه بالكلام)[3] ويقول الإمام أحمد – يرحمه الله – : (من تعاطى الكلام لم يفلح)[4] ويقول أيضاً: (إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذروه)[5] ويقول مالك – يرحمه الله – :(كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن يُرد ما جاء به جبريل إلى النبي – عليه الصلاة والسلام–)[6] ويقول أيضاً : (والكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه)[7] ولذلك فإن الصحابة – رضي الله عنهم – لم يتجادلوا في الأصول المتفق عليها، بل أجمعوا على الجدال والتناظر لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك[8].

المطلب الثامن: عدم التناقض

المقصود به سلامة دعوى المجادل ودليله من التعارض، وألا يكون كلامه ينقض البعض الآخر، فإن كان كذلك كان كلامه ساقطاً بداهة وفكرته لاغية، وذلك أن التناقض في الأفكار والتباين في طرحها يجعل تلك الأفكار متهافتة لا يلتفت إليها، ومن أمثلة التناقض في الدعوى: ما قصه القرآن الكريم على لسان كفار قريش في قولهم عن الآيات التي جاء بها النبي – عليه الصلاة والسلام – بأنها سحر يؤثر ومستمر، يقول الله تعالى – : (وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) [القمر: ٢] ففي قولهم هذا تعارض وتناقض واضح لا يستحق رداً ولا يحتاج مناقشة فهو ساقط علمياً، لأن من شأن الأمور المستمرة أن لا تكون سحراً أما أن يكون الشيء سحراً ومستمراً معاً في وقت واحد فذلك جمع بين متضادين لا يجتمعان، ومن ذلك أيضاً وصف فرعون لموسى – عليه الصلاة والسلام – لما جاء بالحجج الدامغة والآيات الباهرة بأنه : (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) [الذاريات: ٣٩] وهو وصف تضمن أمرين متناقضين لا يجتمعان، هما السحر والجنون، لأن الشأن في الساحر العقل والذكاء والفطنة، أما المجنون فلا عقل معه البتة، وهذا من فرعون تهافت وتناقض[9].

المطلب التاسع: سلوك الطرق العلمية والتزامها:

إن للجدال سلوكاً معينة يجب اتباعها ومن هذه الطرق العلمية: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة في الجدال السلمي وقد أرشد القرآن الكريم إلى ذلك في نصوص قرآنية عديدة منها: قول الله – تعالى – : (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [النمل: ٦٤] وقوله – عزوجل – : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ

(١) الحجة في بيان المحجة (٢٢١)

(٢) مناقب أبي حنيفة (١٣٧ – ١٣٨)

(٣) الإبانة الكبرى (٥٣٥– ٥٣٦)

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٥٣٨ – ٥٤٠)

(٥) البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٥)

(٦) المصدر السابق

(٧) ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢١٦)

(٨) المصدر السابق

(٩) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (٣٦٧ – ٦٣٨)، والحوار الذات والآخر (٥٩ – ٦٠) وضوابطه المعرفة (٣١٦)

فَهُمْ مُعْرِضُونَ) [الأنبياء: ٢٤] ففي هذين النصين يأمر الله رسوله محمداً – عليه الصلاة والسلام – بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على ما يدعون، ويشمل البرهان في مثل هذا الادعاء البرهان العقلي، والبرهان النقلي عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – وتشير الآية الأولى إلى مطالبتهم بتقديم البرهان بشكل عام عقلياً كان أم نقلياً، وأما الآية الثانية فتطالب بتقديم البرهان النقلي، وكذلك قول الله – تعالى - : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ١١١] ففي هذه الآية يأمر الله رسوله – عليه الصلاة والسلام – بأن يطالب الذين ادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود أو من النصارى بتقديم برهانهم على ما يدعون[1]، يقول ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية : (وهكذا كل من أدعى دعوة لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قُلب عليه دعواه وادعى مدع عكس ما أدعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان عُلم كذبهم بتلك الدعوى)[2] فالله – تعالى – طالبهم بالبرهان على دعواهم، فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية، وهو أنه لا يقبل من أحد قول لا دليل عليه، ولا يُحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها[3]، وقول الله – تعالى - : (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران: ٩٣] وذلك ان اليهود أخذوا يعترضون على رسول الله – عليه الصلاة والسلام – في أكله لحوم الأبل وشربه ألبانها، مع إعلانه أنه على دين إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – مدعين بأنها كانت محرمة في ملة إبراهيم، فقال لهم الرسول – عليه الصلاة والسلام –: كان ذلك حلالاً في ملة إبراهيم فنحن نحله، فقال اليهود: إنها لم تزل محرمة في ملة إبراهيم ونوح – عليهما السلام – فأمر الله – تعالى –رسوله – عليه الصلاة والسلام – بأن يطالبهم بتقديم الدليل على ما يدعون من نقل صحيح[4] ومن سلوك الطرق العلمية إثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية أثناء الجدل السلمي، سواء كانت أدلة عقلية أم نقلية، فإن كان الدليل عقلياً فالمطلوب إظهار صراحته وبيان حجته، وإذا كان الدليل نقلياً فالمطلوب تحرير صحته، والدليل النقلي إما أن يكون دليلاً من القرآن الكريم، وإما أن يكون دليلاً من السنة النبوية، فإن كان من القرآن الكريم فيكتفي بإيراده وبيان وجه دلالته على المسألة التي استدل بها المجادل عليها، لأن كل ما يوجد بين دفتي المصحف هو مقطوع بصحته، وإن كان الدليل من السنة النبوية فلا بد مع بيان وجه دلالته بيان درجته من حيث الصحة وعدمها، يقول الله – تعالى - : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف: ٢٤]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله –:(فطالبهم – أي المشركين العابدين مع الله غيره– أولاً بالطريق العقلي، وثانياً بالطريق السمعي)[5] والكتاب هو الكتاب –أي جنس الكتب المنزلة من عند الله–، والأثارة كما قال السلف: هي الرواية والإسناد، وقالوا: هي الخط أيضاً إذ الرواية والإسناد يكتب بالخط،

---

(١) المصادر السابقة

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٢٥)

(٣) تفسير المنار (٤٢٤– ٤٢٥)

(٤) ضوابط المعرفة (٣٣٦)

(٥) درء تعارض العقل (٧/ ٣٩٥) ط جامعة الإمام

وذلك لآن الأثارة من الأثر، فالعلم الذي يقوله من يقبل قوله يؤثر بالإسناد ويُقيد ذلك بالخط، فيكون ذلك كله أثاره[١] فينبغي على المجادل ألا يستدل على كلامه بنقل ضعيف أو موضوع، أو بدلالة ضعيفة، أو بقول فاسد، وليعلم أن الاكتفاء ولو بدليل واحد صحيح قاطع خير من سوق عشرات الأدلة الضعيفة الواهية، وفي هاتين الطريقتين جاء في القاعدة الحوارية المشهورة لدى علماء أدب البحث والمناظرة[٢]: (إن كنت ناقلا فالصحة، وإن كنت مدعياً فالدليل)[٣]، ومن سلوك الطرق العلمية قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة، أو الأدلة المرجحة، إذا كان موضوع الجدال مما يكفي فيه الدليل المرجح وإلا كانت المجادلة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه[٤].

المبحث الثالث: قيم الجدال وآدابه وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الرفق واللين:

إن أهم ما ينبغي أن يتوجه إليه المجادل في جداله الالتزام بالرفق واللين وما يرتبط به من سلوك حميد كالصبر والحلم والنصح والقول الحسن السديد، يقول الله – تعالى -: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [العنكبوت: ٤٦] أي إلا بالخصلة التي هي أحسن، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله – عزوجل – والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة[٥] يقول الله – تعالى - : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥] أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب[٦]، فعلى المجادل أن يسلك في ذلك طريق المناصحة، والمناقشة العلمية الهادئة، المحفوفة بالشفقة والرحمة بالمخالف، المريد للحق، لأن الإسلام حرَّم العنف والقسوة سواءً في القول أو الفعل، مقابلاً ذلك بالرحمة واللين والسماحة واليسر وذلك في قوله – سبحانه - : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٨٥] وفي قوله: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) [النساء: ٢٨] ويقول – سبحانه – في القول الهين اللين : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) [طه: ٤٤] وحسب قول الحق – سبحانه - :(وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران ١٥٩] وذلك هو الأدب الإسلامي الرفيع، في كل الشؤون والمجالات، ومن مشكاة النبوة قوله – عليه الصلاة والسلام – البديع الرائع، الذي هو بحق منهاج حياة، في الحق على الرفق وتبشيع العنف، يقول: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف)[٧] وشتان شتان بين هذه اللوحة النبوية التي تزينت بالرفق والأناءة والتؤدة واللطف وبين مشهد القسوة والغلظة والعنف، وبذلك تتضح أخلاق النبوة الرحيمة في مجادلة الجفاة، ومجابهتهم بالحق الأبلج، وبيان أنه – عليه الصلاة والسلام – هو الرحيم الشفيق في التعامل مع الخلق، وما أرسل إلا ليتمم مكارم الأخلاق، وقد أتمها، فالرحمة من الدين هي: الجوهر في المخبر والمظهر، مع الوضوح والشفافية وتحرير المصطلحات وتصحيح المفاهيم وعدم الخلط واللبس

(١) المصدر السابق (١/ ٥٧ – ٥٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥٣ – ١٥٤)

(٢) أي تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة، وإثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية

(٣) ضوابط المعرفة (٣٦٥)

(٤) المصدر السابق (٣٦٩)

(٥) فتح القدير (٤/ ٢٠٥)

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩١)

(٧) مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤)

في التصور، فعلى المجادل أن يقابل الغلو المظلم بوجه الوسطية المشرق، الذي حث عليه الشرع، ودعت إليه نصوصه الحكيمة: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣] وهذه هي هوية الأمة الإسلامية بين الأمم: لا إفراط ولا تفريط، ولا إهمال، بل توازن وتوسط واعتدال ورحمة، وهي مكمن القوة ومركز من كل شيء وأمر، وهكذا هي شريعة الإسلام في أحكامها وعقيدتها وآدابها، يقول ابن القيم – يرحمه الله –: (وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة)[١] ويقول ابن المنير –يرحمه الله–: (رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع)[٢] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (إن الدين يسير ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا)[٣]، فالدين الإسلامي يدعو المسلمين جميعاً إلى أن يكون هذا منهجهم في حياتهم وفي حديثهم كله مع الآخرين، يقول الله – تعالى – : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [الإسراء: ٥٣] ويقول أيضاً: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣] ويقول كذلك: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت: ٣٤] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – :(إن الله يحب الرفق في الأمر كله)[٤] ويقول أيضاً : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٥]، وللتأكيد على ضرورة اعتماد أسلوب الرفق واللين في الجدال بعيداً عن الغلظة والعنف أكد الله – تعالى – على هذا الأسلوب في مواقف كثيرة منها: أنه حين أمر الله – سبحانه – موسى – عليه الصلاة والسلام – هو وأخوه لمحاورة فرعون دعاهما إلى أن يتوسلا معه بهذا الأسلوب رغم طغيانه وسطوته، يقول الله – تعالى– : (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٢ – ٤٤] فقولا قولاً ليناً : أي سهلاً لطيفاً برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلظة في المقال[٦]، ولقد سلك أنبياء الله ورسله – عليهم الصلاة والسلام – في جدالهم مع أقوامهم هذا الأمر، ومن ذلك جدال إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – مع أبيه: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ... يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) [مريم: ٤١، ٤٣– ٤٩] فقد تضمن هذا الجدال رفقاً وليناً ظاهرين، كما تضمن دروسا في ترسيخ معالم الهداية وآداب الجدال[٧] نستجلي أهمها: لطف الخطاب وأدب الجدال مع المخالف رغم عظم المخالفة، فالقضية المطروحة للبحث والجدال هنا قضية كفر وإيمان، وهما ضدان لا يجتمعان، لكن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – يبدأ خطابه لأبيه

---

(١) الفوائد (١/ ١٤١)

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٦٣)، والدرر الكامنة (٢/ ٢٤٢)

(٣) البخاري كتاب الأدب – باب الرفق في الأمر كله (٤/ ٢٠٦٨)

(٤) مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤)

(٥) مسلم كتاب البر والصلة والأداب – باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٤)

(٦) تفسير الكريم الرحمن (٥/ ١٥٩)

(٧) ظلال القرآن (٢٣١١ – ٢٣١٢) والقصص القرآني (١٥٥– ١٥٧) ، والأنبياء في القرآن (١١٦ – ١١٨) والحوار في قصص إبراهيم (٧ – ١٠)

بلين وأدب جميل، واستعطاف يبدأه بنداء الأبوة (يا أبت) ليستثير بهذا النداء أبوته الحانية، ويحرك مشاعره الراكدة يلامس بهذا شغاف قلبه، ليس هذا فحسب، بل يكرر هذا النداء المؤثر أربع مرات مع كل خطاب لأبيه، إن لم يؤثر الأول فعسى أن يؤثر الآخر، ومع عدم إنتهاء الجدال بين إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وأبيه إلى نهاية سعيدة وحميدة كان يرجوها – عليه الصلاة والسلام – لأبيه، ومع غضب أبيه عليه وتهديده بقوله: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) [مريم: ٤٦] فيختم جداله مع أبيه بالسلام عليه والدعاء له بقوله: (سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) [مريم: ٤٧] فكان لطف الخطاب وحسن الجواب وأدب الكلام شعار الجدال في البدء والختام وأثناء الكلام، وحسن المدخل لمسائل الخلاف وقضاياه، حين بدأ إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أباه بالتساؤل: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) [مريم: ٤٢]، وهذا أسلوب جميل يحمل المجادل المخالف على التفكير وإعادة النظر في الأمر، للوصول إلى الحق بنفسه، حتى لا يشعر بأنه أُفحم وبُهت ، فتأخذه العزة بالأثم، ويمتنع عن قبول الحق انتصاراً للنفس ولو بالباطل، وحصر الجدال في القضايا الكبرى، دون الانشغال في الجزيئات والتفصيلات، فقد اقتصر إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في هذا الجدال على دعوة أبيه إلى إخلاص العبادة لله وحده التي هي غاية خلق الله – تعالى– لعباده دون الخوض في القضايا الجزئية وتناول المسلمات المتفق عليها، فآلهة آزر التي يعبدها هي الأصنام المنحوتة من الأحجار، وهذه الأصنام في حقيقتها وواقعها لا تسمع دعاء ولا تفهم ثناءً ولا تجيب نداءً، ولا تبصر خضوع خاضع، ولا خشوع خاشع، ولا تملك نفعاً ولا تدفع ضراً، وبناء على هذه الحقيقة القائمة الواضحة، فهي لا تملك من مقومات وصفات الإلهية شيئاً: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) [مريم: ٤٢]، وبمثل هذا الأسلوب والتقرير ينتبه العقل من غفلته، ويصحو الضمير من غفوته، ويستيقظ الحس من رقدته، لمن ألقى السمع وهو شهيد، والتنبيه لإسهام العلم في إيضاح الحق والوصول إلى الصواب، فالعلم شرط في المجادل المؤثر، ومحفز للمجادل من أجل قبول الحق: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) [مريم: ٤٣]، وإظهار الحق والحرص على المخالف، والخوف عليه من التشبث بالباطل، وبيان أن الهدف من مجادلته بيان الحق وإقناعه به لسعادته ونجاته في دنياه وآخرته: (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) [مريم: ٤٥] ولما أثمر الجدال ثمرته من بذل النصح والتعريف بالحق وإقامة الحجة، وتبين تمايز المواقف، وظهرت عداوة آزر لربه، اعتزل إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أباه دون تهديد ووعيد أو إنذار، وأعلن براءته منه مع الدعاء له بالاهتداء، ولذا وصفه الحق – سبحانه وتعالى – : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة: ١١٤] كما أثنى الله – عزوجل – على نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – لما كان عليه من لين وعفو وابتعاد عن الغلطة والفظاظة، ولما لهذا السلوك الفاضل من أثر حسن والتفاف الناس حوله حيث يقول : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩] .

المطلب الثاني: عفة اللسان:

يجب على المجادل الامتناع عن الإيذاء والسخرية والاستهزاء، واجتناب البذاءة والفحش في القول، يقول الله – تعالى –: (لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) [الحجرات: ١١] وقوله: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) [الحجرات: ١١] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا

البذي)[١]، وقد حوت السيرة النبوية نماذج تؤكد هذا التوجه في تعليم النبي – عليه الصلاة والسلام – بأسلوب يتسم بالأناة والحلم والبعد عن الانفعالات والغضب التي تترك آثاراً سلبية على نفسية الآخرين يمتد أثرها إلى مدى بعيد، وتنقلب على سلوكياته فيما بعد، يقول معاوية بن الحكم السلمي: (بينما أنا أصلي مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلى فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)[٢] ولذا فإنه يجب على المعلم المجادل اجتناب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث وإيقاع الخصم في الحرج، حتى لو كانت الحجة بينة والدليل دامغاً، فإن كسب القلوب مُقدم على كسب المواقف، وقد يفحم المجادل خصمه ولكنه بأسلوب التحدي لا يقنعه، وقد يسكته بحجة قوية ولكنه لا يكسب تسليمه وإذعانه للحق، والحرص على كسب القلوب واستلال السخائم أهم وأولىّ عند المنصف العاقل من استكثار الأعداء[٣]، فلذا ينبغي التأكيد على الاحترام المتبادل بين طرفي الجدال، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيُخاطب بالعبارات اللائقة والألقاب المستحقة والأساليب المهذبة، فنحن مأمورون بإنزال الناس منازلهم، تقول عائشة – رضي الله عنها – : (أمرنا الرسول – عليه الصلاة والسلام – أن ننزل الناس منازلهم)[٤] فتبادل الاحترام إنما يقود إلى قبول الحق والبعد عن الهوى والانتصار للنفس، وهذا التقدير والاحترام المطلوب لا ينافي النصح وتصحيح الأخطاء بأساليبه الرفيعة وطرقة الوقورة، فالمطلوب هو النصح والتقدير والاحترام لا التملق الرخيص والنفاق المرذول، والمدح الكاذب والإقرار على الباطل، ومما يتعلق بهذه الخصلة الأدبية أن يتوجه النظر وينصرف الفكر إلى القضية المطروحة ليتم تناولها بالبحث والتحليل والإثبات والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها، لكي لا يتحول الجدال إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة ذوات الأشخاص وتصرفاتهم ومؤهلاتهم العلمية وسيرهم الذاتية[٥] والمتتبع للجدالات التي يزخر بها تراثنا الإسلامي يدرك ذلك الأدب الرفيع الرائع بين المتجادلين في أدق قضايا الإسلام وأحكامه ويَّطلع على النماذج المشرفة التي حواها ذلك التراث الفكري المعرفي، ومن ذلك الجدال الرائع الذي تم تبادله بين عالمين جليلين من علماء الأمة هما: إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وإمام مصر وعالمها الكبير الليث بن سعد – رحمهما الله – حول عديد من المسائل والأحكام الفقهية: حيث يقول الإمام مالك – يرحمه الله – في رسالته ما نصه: (من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد: عصمنا الله وإياكم بطاعته في السر والعلن، وعافانا وإياك من كل مكروه، اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه من جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه، وأنت في أمانتك وفضلك ومنزلتك

---

(١) البخاري في الأدب المفرد برقم (٣١٢) ص (٨١٠) ، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٩٠) رقم (٣٨٣٩) ، والحاكم في المستدرك في الإيمان (١/ ٥٧) رقم (٢٩) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين

(٢) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب تحريم الكلام في الصلاة رقم (٥٣٧)

(٣) أصول الحوار (٨)

(٤) سبق تخريجه

(٥) أصول الحوار (٨)

من أهل بلدك، وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاءهم فيك حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن الله – تعالى – يقول في كتابه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] ويقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] ثم يأخذ الإمام في تبين القواعد والأصول التي يكون عليها العمل وبها الاستدلال، مبيناً سر الاختلاف بينه وبين الإمام الليث، ثم يختم رسالته بتأكيد إخلاصه في النصيحة وصدقه في حب الخير لأخيه الإمام الليث، ودعوته له بالتوفيق في الطاعة فيقول: فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك فيه لنفسك، واعلم إني أرجو ألا يكون دعائي إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله – تعالى – وحده، والنظر لك والضن بك، فأنزل كتابي فيك منزلة، فإنك إن فعلت تعلم أني لا آلو نصحاً، ووفقنا الله وإياك لطاعته، وطاعة رسوله – عليه الصلاة والسلام – في كل أمره وعلى كل حال، والسلام عليك ورحمة الله)[١]، وبمثل هذا الأدب الرفيع الجم يبعث الإمام الليث إلى الإمام مالك برسالة علمية رائعة يعرض فيها وجهة نظره حول كثير مما يذهب إليه الإمام مالك في تلك المسائل والأحكام الفقهية ويخالفه فيها الليث بن سعد ونظراً لطول الرسالة نقتطف منها ما يشير إلى ذلك الأدب الجم الذي اختلف في ظله سلف الأمة وكرام علمائها، يقول الليث: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه، ثم يذكر المسائل التي يختلف فيها مع الإمام مالك والتي منها: الجمع ليلة المطر، والقضاء بشاهد ويمين، ومؤخر الصداق لا يقبض إلا عند الفراق، وتقديم الصلاة على الخطبة في الاستسقاء، ويختم رسالته بقوله – يرحمه الله – : (وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك، مع استئناسي بمكانك، وإن نأت الدار فهذه منزلتك عندي ورأي فيك فاستيقنه، ولا تترك الكتاب إلى بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يوصل بك، فإني أسر بذلك، كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا، وتمام ما أنعم به علينا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢].

المطلب الثالث: الهدوء والسكينة والحلم والأناة:

من الآداب المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها المجادل المحافظة على الهدوء والروية والحلم والأناة والهدوء من خلق الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – يقول الله – تعالى – : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٥٧]، وقد أثنى الرسول – عليه الصلاة والسلام – على من اتصف بالحلم والأناة وهو أشجع عبد القيس بقوله : (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة)[٣] والمجادل إلى الله – تعالى – بأمس الحاجة إلى التخلق بالحلم والأناة والهدوء، وعدم التسرع والطيش والعجلة، وذلك لما يحتاجه منهج الدعوة من تروي وتأن في إيصاله للناس، ولهذا فإن المجادل السلمي الذي يتصف بالحلم والأناة والسكينة يكون مرشداً يهدي إلى الخير، ونوراً يهدي إلى الرشد، فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس وهو هادئ النفس، ومطمئن القلب، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق فتنفر منه القلوب، وتشمئز منه

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٦٤ – ٦٥)

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٨٣) ط المكتب الإسلامي

(٣) مسلم كتاب الإيمان – باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وشرائع الدين... (١/ ٤٨)

النفوس، بل يكون في مجتمعه كالأب العطوف، والأخ الشفوق، قدوته في ذلك إمام الداعين محمد – عليه الصلاة والسلام –[1] فلذا فإن من الآداب المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها المجادل للدعوة المحافظة على الهدوء والروية والسيطرة على الانفعالات، واجتناب الغضب ومسبباته، فذلك يُعد من الأمور الضرورية لتوفير مناخ صحي للجدال والمناظرة، ومجالس الجدال مجالس علم، فيجب أن ترعى لها حقوقها وهيبتها، يقول الإمام مالك - يرحمه الله- : (إن مجالس العلم تحتضن بالخشوع والسكينة والوقار)[2]، والغضب من الخصال الذميمة التي نهى عنها الإسلام، فقد جاء رجل إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – وقال أوصني ، قال: (لا تغضب فرد مراراً ، قال: لا تغضب)[3] وبين أنه (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[4] ، ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه)[5]، وتقول عائشة – رضي الله عنها – حين ردت على اليهود بقولها: السأم عليكم واللعنة قال لها رسول الله – عليه الصلاة والسلام - : (مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله)[6] ويقول: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على سواه)[7]، لذا فإن التشنج والانفعال والغضب ليس هو الأسلوب الأمثل لبيان الحق ونصرته، لأنه يؤدي إلى اختلال الفكر وعدم سداده وحينئذ لا مطمع للفهم فيفوت الغرض من المجادلة[8]، ولأن الغضب كما يقول ابن القيم – يرحمه الله - : (نوع من الغلق والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حُسن التصور والقصد)[9] ولذا فهو في نظره – يرحمه الله -: (عدو للعقل، وهو للإنسان كالذئب للشاة، قلما تمكن منه إلا اغتال عقله)[10] ولذا فقد تزينت كتب الحديث والسيرة بمواقف النبي – عليه الصلاة والسلام – الهادفة العادلة حتى مع من خالفه واختلف معه، مع أن بعض هذه الخلافات قد يتصورها البعض خيانة وجبناً ونفاقاً، إلا أن النبي – عليه الصلاة والسلام– قابلها بكثير من الهدوء والسكينة، يقول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - : (بعثني رسول الله – عليه الصلاة والسلام – وقال: انطلقوا حتى تأتي روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين) فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلنا: الكتاب، قالت: ما معنا كتاب، فأنخناها، فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني لأضرب عنقه، فقال: (ما حملك على ما صنعت) قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) الدعوة الإسلامية (١٣٨)

(٢) المدخل إلى السفن الكبرى للبيهقي (٣٩٤)

(٣) البخاري في الأدب – باب الحذر من الغضب (١٠/ ٤٢٦)

(٤) البخاري في الأدب – باب الحذر من الغضب (١٠/ ٤٣١) ، ومسلم البر والصلة والآداب – باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (١٦/ ١٦٠)

(٥) مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٤)

(٦) مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٥)

(٧)مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤)

(٨) التفسير الكبير (٢٥/ ٢٥٧)

(٩) إعلام الموقعين (٢/ ١٧٥)

(١٠) إغاثة اللهفان (٤٩)

أردت أن يكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (صدق ولا تقولوا له إلا خيراً) فقال عمر: إنه خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني لأضرب عنقه فقال: (أليس من أهل بدر؟) فقال: (لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت لكم)(١)، إن في ذلك الجدال بياناً كافياً ودلالة واضحة لمعنى الهدوء والسكينة والإنصاف وتطبيقه العملي الصادر من مشكاة النبوة، فإن فعلة حاطب التي فعلها تسمى في عصرنا الحاضر الخيانة العظمى، وحكمها الإعدام في الميدان لمن ثبت تورطه فيها، لكن الهادي البشير يقرر حاطباً ويتثبت منه، ويكشف عذره، ويسأل عن مبرر فعلته، ثم يصدقه فيما قال، ثم يزيد على ذلك فينهى عن إيذائه بكلمة أو تجريح، ثم يُذكر الصحابة بحسنات حاطب وخيره الكثير، وهذا ما يتطلبه الجدال السلمي من انصاف المخالف فيما يقول: إن كان حقاً أخذنا به، وإن كان غير ذلك فلنا الخيار في الأخذ والترك، إلا أنه لا بد أن يُفرق بين المجادل وبين ما يقول من أفكار ومقترحات، حتى نستطيع أن ننصف الآخرين، ونحقق في الجدال مبدأ الهدوء والسكينة والإنصاف.

المطلب الرابع: اجتناب رفع الصوت:

من لوازم الهدوء اجتناب رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، يقول الله – تعالى – : (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان: ١٩] فينبغي على المجادل ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة، لأن في ذلك إيذاء لنفسه وللمجادل، ورفع الصوت لا يقوي حجة، ولا يجلب دليلاً، ولا يقيم برهاناً، بل إن صاحب الصوت العالي لم يعُل صوته – في الأغلب – إلا لضعف حجته وقلة بضاعته، فيستر عجزه بالصراخ، ويواري ضعفه بالعويل، وهدوء الصوت عنوان العقل والاتزان والفكر المنظم والنقد الموضوعي والثقة الحسنة، فلذا فعلى المجادل إذا احتاج إلى التغيير من نبرات صوته حسب استدعاء المقام ونوع الأسلوب، لينسجم الصوت مع المقام والأسلوب استفهامياً أم تقريرياً أم إنكارياً أم تعجبياً، أم غير ذلك، مما يدفع السآمة والملل، ويعين على إيصال الفكرة ويجدد التنبيه لدى المشاركين والمتابعين فلا حرج(٢)، ولذا فإن نوح – عليه الصلاة والسلام – نوع الصوت على حسب المجادلة مع المخالفين يقول الله – تعالى – : (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) [نوح: ٨-٩] فما زال يدعوهم رحمة وشفقة، حلماً وصبراً، وبدون رفع صوت أو تعنيف، فهذه الخصال تفتح مغالق القلوب، ويُدعى الناس إلى الحق، لا بالعنف والتعسير والشدة، والمؤاخذة والزجر بالصوت المرتفع، ومن ثم كان هدي الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – في هذا الباب : (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)(٣) وعندما نقرأ بعض المجادلات التي خاضها النبي – عليه الصلاة والسلام – نجد أن هذه الصفة لا تخلو منها، بل تجد نفسك تقرأ في بحر من الأدب، وتتعلم كما تعلم الصحب الكرام من فيض خلقه الجم، وعظيم سمته الحسن، يقول أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (كنت أمشي مع النبي – عليه الصلاة والسلام – وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة حتى نظرت على صفحة عاتق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مر

---

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة – رضي الله عنهم – باب فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر – رضي الله عنهم – (١٥/ ٥)

(٢) الحوار أدبه وضوابطه (١٤٩)، وأصول الحوار وآدابه (٨ -٩)

(٣) البخاري كتاب الأدب – باب قول الرسول – عليه الصلاة والسلام- (بشروا ولا تعسروا) (١٠/ ٤٣١)

لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ثم ضحك ثم أمر له بعطاء)[١] وهذا دليل على عظيم ما يتمتع به الرسول – عليه الصلاة والسلام – من أدب جم وعدم غلظة، وهي خصال في مثل هذه المواقف صعبة التطبيق، إذ يمكن للإنسان أن يتظاهر بها في حال اليسر، إلا أن أمره ينكشف في ساعة العسر، فمثل هذه الأخلاق مرتقى عال لا يستطيع بلوغه إلا الذين انفتحت مغالق قلوبهم لهدي الإسلام، وتفاعلت نفوسهم بأخلاقه السمحة، فآثروا ما عند الله من مغفرة وثواب كريم على ما هجست به النفوس من حب الانتصار والانتقام والانتصاف[٢] فالبعد عن الحلم والصبر والرحمة والشفقة يؤدي إلى التعالي والتكبر والانتصار للنفس، وتلك الرزايا في ميادين الجدال تُعد من الآفات الخطيرة التي تقلل من قدر المرء، حتى ولو كان مصيباً في أصل رأيه، فهو بعلوه هذا ينفر الناس عن الحق، ويبعدهم عن الهدى، ويضطرهم إلى المعاندة، ويستنفرهم للمخالفة[٣] ومن هنا يفسد الجدال، فخلو الجدال من مثل هذه الآداب – الحلم والصبر والرحمة والشفقة وانخفاض الصوت – يحولها إلى مجالس عقيمة تسير نحو الإفساد لا الإصلاح ، وتتصف بالحماقة، ويطغو عليها الغضب والشدة والكره.

المطلب الخامس: حسن الاستماع:

إن تجاهل أحد أطراف المتجادلين، وإظهار عدم الاهتمام به وتحويل الانتباه من الشخص الذي يتم التجادل معه يؤدي إلى إثارة أعصاب المجادل أثناء الجدال، فمن الآداب الرفيعة السامية والقيم الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها المجادل: الحرص على حسن الاستماع للآخرين، واللباقة في الإصغاء إليهم، فإن ذلك أدب قل من يجيده من الناس في عصرنا الحاضر، وللمجادل في رسول الله – عليه الصلاة والسلام – أسوة حسنة، فقد كان خير من يحسن الاستماع للآخرين، ويصغي إليهم، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أن عتبة بن ربيعة اقترح على قريش أن يأتي إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – ليعرض عليه أموراً لعله يقبل بها فيتراجع عن دعوته إياهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان، حيث جاء إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – ودخل عليه فإذا هو – صلى الله عليه وسلم– جالس بكل سكينة فلما وقف عتبة بين يديه قال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت تأدبا مع أبيه عبد الله، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت تأدبا مع جده عبد المطلب، فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، وقبل أن يجيب النبي – عليه الصلاة والسلام – ثار عتبة وقال: إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك!! فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، وكان عتبة متغيراً عضبان، والنبي – عليه الصلاة والسلام – ساكن يسمع بكل أدب، وبدأ عتبة يقدم إغراءات ليتخلى النبي – عليه الصلاة والسلام – عن الدعوة، فقال: أيها الرجل إن كنت جئت بالذي جئت لأجل المال جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كنت إنما بك حب الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان إنما بك الرغبة في النساء فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجنك عشراً!! وإن كان

---

(١) البخاري كتاب الأدب – باب الصبر في الأذى (١٠/ ٤٢٠)

(٢) تجربة في تطبيق إستراتيجية التعلم التعاوني (١٩١)

(٣) الحوار أصوله المنهجية (٩٣)

هذا الذي يأتيك رئياً من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، ومضى عتبة يتكلم بهذا الأسلوب السيئ مع رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ويعرض عليه عروض ويغريه والنبي – عليه الصلاة والسلام – ينصت إليه بكل هدوء، وانتهت العروض ملك، مال، نساء، علاج من جنون!! عندها سكت عتبة وهدأ ينتظر الجواب، فرفع النبي – عليه الصلاة والسلام – بصره إليه وقال بكل هدوء أفرغت يا أبا الوليد؟ لم يستغرب عتبة هذا الأدب من الصادق الأمين بل قال: باختصار نعم، فقال – صلى الله عليه وسلم – (فاسمع مني) قال: أفعل فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) [فصلت: ١-٤]، ومضى النبي – عليه الصلاة والسلام – يتلو الآيات وعتبة يسمع وفجأة جلس عتبة على الأرض ثم اهتز جسمه فألقى يديه خلف ظهره واتكأ عليها يستمع، والنبي – عليه الصلاة والسلام – يتلو ويتلو حتى بلغ قوله – تعالى –: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [فصلت: ١٣] فانتفض عتبة لما سمع التهديد بالعذاب وقفز ووضع يديه على فم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليوقف القراءة، فاستمر يتلو الآيات حتى انتهى إلى الآية التي فيها سجدة التلاوة فسجد ثم رفع رأسه من سجوده، ونظر إلى عتبة وقال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: (فأنت وذاك)[١] فأدب الرسول – عليه الصلاة والسلام– وحُسن استماعه له جعله يتأثر ويتغير لون وجهه وقال: إني والله سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته وما يقول هذا بشر، ما يقول هذا بشر، ولذا يقول أحد الحكماء في وصيته لابنه: (يا بني تعلم حُسن الاستماع كما تتعلم حُسن الحديث وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول)[٢]، وحسن الاستماع يتضمن أموراً عديدة منها: ألا يحصر المجادل همه في التفكير بما سيقوله في المجادلة، بل يقبل بوجهه على مجادله وينظر إليه مباشرة مظهراً حرصه على الوعي بما يقوله ويطرحه من آراء وأدلة وأفكار، حتى ولو كانت معلومة لديه، يقول عطاء بن أبي رباح علامة التابعين – يرحمه الله – : (إن الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه، ولقد سمعته قبل أن يولد)[٣] ويقول الخطيب البغدادي – يرحمه الله – :(وينبغي أن يكون كل واحد من الخصمين مقبلاً على صاحبه في حال مناظرته، مستمعاً كلامه إلى أن ينهيه)[٤] وإشعار المجادل مجادله المتكلم بالاحترام والاهتمام، وعدم الانشغال عنه إثناء كلامه، كأن يطالع في كتاب بين يديه، أو يعبث بقلمه ونحو ذلك، وإعطاء الطرف الآخر الفرصة كاملة للتعبير عن آرائه وعرض أدلته، وعدم مقاطعته ومنازعته الكلام والاقتحام عليه فيه حتى ينتهي تماماً منه، فإن كان هذا الكلام يحتوي على حق تم استخلاصه والاستفادة منه، وإن كان يحتوي على ما سوى ذلك رُد ونُقد بطريقة علمية موضوعية، يقول الخطيب البغدادي – يرحمه الله – : (وليتق المناظر مداخلة خصمه في كلامه وتقطيعه عليه، وإظهار التعجب منه، وليمكننَّه من إيراد حجته)[٥] ولا شك أن المتجادلين سيجنيان عند الالتزام بهذا الخلق الكريم فوائد عدة منها: إتاحة الفرص لالتقاء

(١) البخاري كتاب التفسير – باب سورة المدثر (٨/ ٥٤٨)
(٢) العقد الفريد (٢/ ٢٤٣)، والفقيه والمتفقه (٢/ ٣٣)
(٣) تذكرة السامع (١٠٥)
(٤) الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٢)
(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٥٠/١)

الآراء وتحديد نقاط الاختلاف وإشعار كل واحد منهما الآخر بالجدية والاهتمام والرغبة في تحصيل الفائدة والوصول إلى نتيجة جيدة من هذا الجدال، كما أنه يعين على هدوء الطرفين المتجادلين، ويتيح لهما حُسن الفهم، ووضوح الرؤية، والقدرة على استعراض الآراء والتصورات والحجج والبراهين، ومن ثم إتمام الجدال إلى نهايته، ولا شك أن حُسن الفهم مطلب رئيس في الجدال، ولذا نجد ابن القيم – يرحمه الله – يقول: (لما كان المقصود بالخطاب دلالة السامع وإفهامه مراد المتكلم من كلامه، وأن يبين له ما في نفسه من المعاني، وأن يدله على ذلك بأقرب الطرق، كان ذلك موقوفاً على أمرين: بيان المتكلم وتمكين السامع من الفهم، فإن لم يحصل البيان من المتكلم، أو حصل ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بيَّن المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده، ولم يعلم السامع معاني تلك الألفاظ لم يحصل له البيان، فلا بد من تمكن السامع من الفهم وحصول الإفهام من المتكلم)[1].

المطلب السادس: اجتناب المراء:

إن البعد عن الجدل المذموم والمراء الذي يوغر الصدور، ويؤدي إلى التعنت والتعصب وعدم احترام الطرف الآخر مذموم، والمذموم شرعاً ما ذمه الله ورسوله – عليه الصلاة والسلام – كالجدل بالباطل والمراء بغير علم، والجدل في الحق بعد ما تبين، فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله – تعالى – عن الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – وأمر بها مثل قول الله – تعالى – : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) [هود: ٢٢] ، أو مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن كما قال الله – تعالى – : (جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥] وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع[2]، أما المراء فإنه يؤدي إلى الغلو المنهي عنه شرعاً، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[3]، والغلو في الدين أي التشديد فيه ومجاوزة الحد والبحث عن غوامض الأشياء[4] وهذا كله وزيادة موجود في المراء، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله – : (قوله: إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو، مجاوزة الحد بأن يزاد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحق)[5] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (هلك المتنطعون) قالها: ثلاثاً[6] قوله: هلك المتنطعون: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[7] المشَّددون في غير موضع التشدد والمتعمقون في البحث والاستقصاء[8] فإن المتدبر في الأحاديث السابقة يصل إلى قناعة وهي أن التشدد سبب في هلاك الأمم ودمارها، لأنه يؤدي إلى الفساد والخروج عن جادة الحق والصواب، فالمراء يقلب الباطل حقاً والحق باطلاً، فلذا فإنه ينبغي على المجادل أن يجتنب في جداله المراء والجدل المذموم واللدد والخصومة، ولذلك حذرت النصوص الشرعية منه لما يترتب عليه من آثار سيئة على المتجادلين منها: ذهاب نور العمل وتقسية القلوب، وتوريث الأحقاد والضغائن في الصدور،

---

(١) المصدر السابق

(٢) درء التعارض (٣/ ٣٧١)

(٣) أحمد في مسنده بتعليقات شعيب الأرناؤوط (١/ ٢١٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم

(٤) اقتعناء الصراط المستقيم (١٠٦)

(٥) المصدر السابق، وفيض القدير (٣/ ١٢٥)

(٦) مسلم كتاب العلم – باب هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥) حديث رقم (٦٧٠)

(٧) شرح النووي (١٦/ ٢٢٠) ، وشرح السيوطي على مسلم (٦/ ٣٤)

(٨) درء تعارض العقل (٣/ ٣٧٣) ، ومجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٢٤)

وطبع الجدال بطابع التعنت والعناد في قبول الحق، يقول النبي – عليه الصلاة والسلام – : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)[١] ويقول في الحث على ترك المراء حتى ولو كان الإنسان محقاً: (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً)[٢]، ولذا فقد ذم علماء السلف الصالح يرحمهم الله المراء والجدال، يقول الإمام مالك – يرحمه الله – : (المراء والجدل في العلم يذهب بنور العلم عن قلب العبد ويقسي القلب، ويورث الضغن)[٣] ويقول الإمام الشافعي – يرحمه الله –: (المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغائن)[٤] والجدل المذموم هو الجدل لأجل الخصومة والتمويه وتلبيس الحق بالباطل، ودفع الحق ودحضه، أما الجدل الذي يراد به إحقاق الحق ونصره، وإبطال الباطل وبيان فساده فهو جدل محمود مرضي، يقول الخطيب البغدادي – يرحمه الله –: (الجدال المذموم وجهان، أحدهما: الجدال بغير علم، الثاني: الجدال بالشغب والتمويه، ونصرة للباطل بعد ظهور الحق وبيانه، قال – تعالى –: (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) [غافر: ٥]، وأما جدال المحققين فمن النصحية في الدين، ألا ترى إلى قوم نوح – عليه الصلاة والسلام – حيث قالوا: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) [هود: ٣٢] وجوابه لهم: (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) [هود: ٣٤] وعلى هذا جرت سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –)[٥] ويقول أيضا: (وثبت أن الجدال المحمود هو: طلب الحق ونصره، وإظهار الباطل وبيان فساده، وأن الخصام بالباطل هو اللدد الذي قال عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – : (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[٦] يقول أبو المعالي الجويني – يرحمه الله –: (من الجدال ما يكون محموداً مرضياً، ومنه ما يكون مذموماً محرماً، فالمذموم ما يكون لدفع الحق أو تحقيق العناد، أو ليلبس الحق بالباطل، أو لما لا يطلب به تعَّرف ولا تقربَّ، أو للمارآة وطلب الجاه والتقدم، إلى غير ذلك من الوجوه المنهي عنها، وهي التي نص الله – سبحانه – في كتابه على تحريمها فقال: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف: ٥٨] وأما الجدال المحمود المدعو إليه فهو الذي يحقق الحق ويكشف عن الباطل، ويهدف إلى الرشد مع من ترجى رجوعه عن الباطل إلى الحق، وفيه قال – سبحانه– : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥][٧]

المطلب السابع: التواضع:

إن التواضع ضد الكبر، وهو من جليل الخصال، وعظيم الأخلاق وأبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله – تعالى – ، والتواضع في الحقيقة: هو إلانة الجانب مع عزة النفس وإباء الضيم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء[٨]، وسُئل الفضيل بن عياض – يرحمه الله – عن التواضع فقال:

---

(١) أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٩٣) رقم (٢٢١٦٤) ، وابن ماجه في سننه – باب (اجتناب البدع والجدل) حديث رقم (٤٨) ، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن – الباب (٤٣) حديث رقم (٣٢٦٦) (٥/ ٣٧٨ – ٣٧٩) وقال: حديث حسن صحيح

(٢) أبو داود في سننه كتاب الأدب – باب في حسن الخلق (٤/ ٢٥٣) حديث رقم (٤٨٠٠) ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٧٣)

(٣) ترتيب المدارك (١/ ١٧٠)

(٤) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٥)

(٥) المصدر السابق (٢/ ٢٣٥)

(٦) البخاري كتاب المظالم والغضب الباب (١٥) حديث رقم (١٢٤٥٧) (٥/ ١٠٦) ، ومسلم كتاب العلم – باب الألد الخصم (١٦/ ٢١٩)

(٧) الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٣٥)

(٨) صفات الدعاة للعمار (٥٧)

(التواضع أن تخضع للحق، وتنقاد له ولو سمعته من أجهل الناس قبلته)[1]. وقد أمر الله – تعالى – بالتواضع فقال سبحانه: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [سورة الشعراء: ٢١٥]، يقول البيضاوي – يرحمه الله – : (لين جانبك لهم، مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحطَّ) [2]، وفي هذا دليل على التواضع مع الآخرين، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – متواضعاً حتى أخجل تواضعه الإنسانية، بعيداً كل البعد عن الكبر أو التجبر على الناس، لذا يقول: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)[3]. ويقول أيضاً: (ما نقصت صدقة من مال قط، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[4]. فالتواضع يزيد من رفعة المجادل الداعي، وكل من تحلَّى به لا ينقص من قدره، أو يختزل من مكانته الاجتماعية، فالمجادل إلى الله – تعالى – أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عارياً من التواضع، وهو من ركائز أخلاق الإسلام، ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً[5]، ومن صنوف التواضع الذي ينبغي على المجادل الموفق الإلتزام بها مراعاة حقوق الناس، والتواضع يجعل المجادل محبوباً بين أهله وقومه وبيئته ذا أثرٍ فعال بينهم، وقوامة عليهم، فالكبر يؤلف جداراً وحاجزاً بين المجادل والناس، بل ويجعل المجادل معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله[6]، والمتأمل في منهج الدعوة الذي يهدف الداعية إلى إيصاله إلى الناس، يجد أنه يأمر بالتواضع وينهى عن الكبر، فكيف بمن يقوم على إيصاله وشرحه وتفسيره للناس؟ والمجادل الذي يتكبر على الناس يحكم على مسعاه وجهده بالفشل الذريع، إذ ليس للناس حاجة عند المجادل، بل هو الذي له حاجات عندهم وأعظمها تحقيق كلمة التوحيد، والإخلاص، والعبادة الحقه – لله تعالى – وإقامة معاملات الناس على ميزان الشرع الحنيف، وصبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية، ولن يتأتى كل ذلك إلا إذا تواضع المجادل واجتنب الكبر والفوقية على الناس، فالتواضع من الصفات التي تؤدي إلى كمال فطرة البشر ولذلك حث الله – سبحانه وتعالى – رسوله – عليه الصلاة والسلام – بالمشاورة لغيره التي تدل على التواضع فقال: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) [آل عمران: ١٥٩] أي شاورهم في أمر الحرب إذ هو المعهود وفيه وفي أمثاله ما تجري فيه المشاورة عادة استظهاراً بآرائهم وتطيباً لقلوبهم، وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة[7]، وفي هذا بيان أن الشدة والغلظة والتكبر سبب رئيس من أسباب التفرق والتشتت وعدم الاجتماع، ولذا حذر الرسول – عليه الصلاة والسلام – من ضده فقال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[8] فالتواضع صفة إيمانية محدودة، والكبر صفة مذمومة حتى مع غير المؤمنين، لأنها لا تليق إلا بالله المستغني عن كل أحد، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – عنه

(١) أصول الدعوة لزيدان (٣٤٩)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٦٧ – ١٦٨)

(٣) مسلم كتاب الجنة وصفتها ونعيمها وأهلها – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم (٢٨٦٥)

(٤) مسلم كتاب البر والصلة – باب استحباب العفو والتواضع رقم (٢٥٨٨)

(٥) أصول الدعوة لزيدان (٣٤٩ – ٣٥٠)

(٦) صفات الدعاة للعمار (٦٠)

(٧) الكافية في الجدل (٢٢ – ٣٢) ، وتفسير أبي السعود (٢/ ١٠٥) ، والتبيان (١/ ١٥٨) ، وزاد المسير (١/ ٧٦)

(٨) مسلم كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر (٢/ ٨٩)

سبحانه: (العزة إزاره والكبرياء رداؤه)[1] ، فعلى المجادل أن يتحلى بالتواضع واجتناب الكبر وكل ما يؤدي إليه والاعجاب بالنفس، ويتحقق ذلك بأمور منها: اجتناب المجادل تزكية نفسه والثناء عليها، وفي هذا يقول الله – تعالى – : (فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) [سورة النجم: ٣٢] واجتنابه الحديث عن علمه، وأعماله، وانجازاته، ومؤلفاته ونحو ذلك فيما يتعلق بشخصه، واجتنابه العناد في قبول الحق إذا تبين له، وغمط الطرف الآخر حقه، أو ازدراءه بأي قول أو فعل، يقول النبي – عليه الصلاة والسلام – : (الكبر بطر الحق وغمط الناس)[2] واجتنابه استخدام ضمير المتكلم إفراداً أو جمعاً فلا يقول: فعلت، وقلنا، وأنا، وفي رأيي، ودرسنا، وفي تجربتنا، ونحو ذلك من الألفاظ، فهذا ثقيل على نفوس المستمعين، وفيه إعجاب بالنفس، وقد يؤثر على الإخلاص والقصد ومن الأفضل أن يبدل تلك الألفاظ بضمير الغيبة، فيقول مثلاً: يبدو للدارس، وتدل تجارب العاملين، ويقول المختصون، وفي رأي أهل الشأن، ونحو ذلك[3]، فالتواضع يمثل أهمية كبرى في سير عملية الجدال بالسير الصحيح السليم، فالتواضع يعطي الجدال دفعة إلى الأمام، وينقل أطرافه من جانب إلى جانب ومن عنصر إلى عنصر، بكل راحة وسكينة وهدوء، كما أنه يشجع على جدالات أخرى، وإقامة مجالس وبرامج جدالية، إذ ينمي هذا الأدب رغبة الجميع باستمرار الجدال سواء في نطاق الموضوع ذاته، أم في موضوعات مستقبلية تفرزها وقائع الحياة[4] لما ينتاب الجدال من جو المودة والألفة والمحبة وصفاء النفس وسلامة الصدر بعيداً عن الأحقاد والشحناء والبغضاء، فالتواضع في الجدال لا يسكن إلا قلباً خالياً من الأحقاد والأضغان، ومن يعمل ليقود الخلق إلى الحق، فلا بد أن يكون نظره إلى ما هو أمامه، ولا ينظر إلى الوراء والأحقاد والأضغان، ومحاسبة كل امرئ على ما كان منه، إنما يشد بصاحبه إلى الأحسن فلا يكون تفكيره إلى ما يجب القيام به في المستقبل، بل يكون تفكيره في شقاء غيظه من أسقامه، وبهذه الأخلاقيات الجدالية تخرج من الجدال السلمي بنفوس راضية صافية، وقلوب محبة وروح عالية.

المطلب الثامن: الصدق:

إن الصدق هو مطابقة القول الضمير، والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً، يقول ابن القيم يرحمه الله: (الصدق هو حصول الشئ وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه)[5]، ويمكن أن يعرف الصدق بأنه اسم جامع لكل معاني الالتزام بالشئ وعدم مخالفة الباطن للظاهر، والمتأمل في الصدق يجد أنه عنوان الأخلاق الفاضلة والمسالك الحسنة، وهو شامة على جبين صاحبه يعرف به ويدلّ عليه، وكما أن الكذب يورث كل خلال السوء، فكذلك الصدق يورث جميع خلال الخير، وصفات الصلاح، يقول الحارث المحاسبي – يرحمه الله – : (واعلم – رحمك الله – أن الصدق والإخلاص أصل كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر، والقناعة، والزهد، والرضاء، والأنس، ... فالصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: صدق القلب بالإيمان تحقيقاً، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام)[6] فعلى المجادل أن يتحلى بالصدق في إيصال الدعوة إلى الناس، والصدق في النصح لهم، وعدم التدليس عليهم، وكذا الصدق في

---

(١) مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الكبر (١٦/ ١٧٣)

(٢) مسلم كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر (٢/ ٨٩ – ٩٠)

(٣) الحوار أدبه في الإسلام (٩)

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية (٧٢)

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠) ، والمفردات (٢٢٧)

(٦) رسالة المسترشدين (١٧٠)

التمسك بالمنهج القويم في الدعوة إلى الله، وعدم تلوينه بألوان الأحزاب، والتيارات والجماعات المختلفة، يقول الله — تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) [سورة التوبة : ١١٩] ويقول الرسول — عليه الصلاة والسلام - : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[١]. والمتأمل في الصدق وما يورثه من المنافع والفوائد والثمرات الطيبة الصالحة في حياة الفرد والمجتمع، يدرك أهمية هذه الخصلة الأخلاقية العالية وفضيلتها، ومن ثمرات الصدق المجتناة في حياة المجادل، وفي حياة كل مسلم — الطمأنينة والهدوء وراحة البال، والبعد عن الريب والخداع والنفاق، وهذا ما يوضحه الحديث الذي أخبرنا فيه الرسول — عليه الصلاة والسلام — بقوله: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة)[٢] ، والصدق يدعو صاحبه إلى الجرأة والشجاعة، لأنه ثابت لا يتلون ولأنه واثق لا يتردد[٣]، وهكذا المجادل في نشر دعوته، وإيصالها للناس، صادق في كل أحواله وظروفه، غير كاذب ولا مداهن، ولا مرتاب في حقيقة دعوته. فالصدق في الأقوال من شأنه أن يؤدي بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال ولذا فإن من مقتضيات الصدق التزام المجادل بالمصداقية العملية لآرائه وأفكاره التي يطرحها أثناء الجدل، فإذا كان الجدال حول قضية عملية فينبغي أن يكون قدوة حسنة في تطبيق ما يجادل من أجله ويدافع لاثباته، فعندها تقلب الأفكار النظرية إلى حقائق عملية ملموسة، فيتأثر من يراها قبل أن يسمع ممن يتكلم بها، ومن فرط في العمل بما يجادل لأجله وقصَّر في تنفيذه دل ذلك منه على اضطراب وعدم يقين، وكان أضعف في حجته، وأعجز عن إقناع غيره[٤]، ونصوص الشريعة توجب على المسلم تطابق القول والاعتقاد كما توجب تطابق القول والعمل، وتحظر الانفصام بينهما، حتى ولو كان هذا الانفصام على المستوى الشخصي ناهيك عن المستوى العام، يقول الله — تعالى - : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) [سورة الصف: ٢-٣]، فالمجادل الجيد لابد أن يتميز جداله بالصدق إذ هو من خصال الإسلام الحميدة، ودلالة من دلائل الانتماء للدين الإسلامي، فينبع من ذلك الجدال فوائد جمة وحصيلة نافعة، ونتاج حسن، فإن حرص الإنسان على الالتزام بالصدق فيما يتكلم به، يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره، فيدفعه إلى معرفة الحقيقة والبحث عنها دون تلفيق ولا تدليس، وحينما نؤكد على هذا الأدب الرفيع في الجدال، فإننا ننشد من خلاله الموضوعية في العرض والتجربة، وأياً من يكون الحق إلى جانبه، فالعبرة بكلمة الحق تصدر وتعلو، وليس المهم أن نعرف على أي سارية وقفت، لذا لابد أن يصدق المجادل في قوله، وأن يكون أميناً فيما ينقل من الحديث توثيقاً ومرجعية إلى الأصل أو المصدر فبذلك يحافظ على أدبه وخلقه، ويحافظ على موضوعية الجدال السلمي.

المطلب التاسع: الأمانة:

---

(١) البخاري كتاب الآداب — باب قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (٤/ ١٠٩) ، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب — باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٣)

(٢) الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة — باب (٦٠) (٤/ ٦٦٨) رقم (٢٥١٨) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح، وقال الألباني : صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٦٣٧) رقم (٣٣٧)

(٣) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين للخزندار (٤٣٨)

(٤) الحوار في القرآن (٩٣٥)

الأمانة من أهم المبادئ الخلقية التي ينبغي أن يتصف بها المجادل، لأنها من الدين، يقول الله – عز وجل – : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [سورة الأنفال: ٢٧] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (لا إيمان لمن لا أمانة له)(١). ومفهوم الأمانة في نظر الإسلام واسع الدلالة، فهو يرمز إلى معانٍ شتى، مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه عز وجل، وتقتضي الأمانة في الجدال السلمي أموراً منها: أن ينقل المجادل الأقوال والأدلة التي ينقلها على سبيل الاستشهاد بها إلى أصحابها، وأن يتحرى الدقة في ذلك، وأن يجتنب أسلوب الإيهام والغموض أو إخفاء الحقيقة، أو التعمية على الطرف الآخر والتلبيس عليه، وعدم بتر النصوص التي يوردها أثناء المجادلة، كأن ينقل نصاً طويلاً فيجتزئ منه ما يصلح له ويدلل على ما يريد، ويغفل الباقي، والواجب في هذه المسألة أن ينقل النص كاملاً حتى يشاركه الطرف الآخر فيما استنتجه، فإما أن يقره، وإما أن يخالفه الفهم، وأن يستدل بالنصوص الصحيحة والأدلة الواضحة والبراهين الثابتة والإحصاءات الدقيقة، وألا يُعَوِّل في ذلك على الشائعات والظنون والأوهام، وألا يتحدث بحديث ليس عنده فيه علم، وألا يتردد إذا سُئل عن مسألة لا يعلم فيها شيئاً أن يقول: لا أدري. وعلى هذا كان سلف الأمة وعلماؤها ومفكروها المخلصون.

وبذلك نستطيع القول: بأنه لا يوجد دين أو شريعة على وجه الأرض تنبذ العنف والغلظة مثل الإسلام، فالإسلام دين الرأفة والرحمة والسماحة واليسر والسهولة وسماحة الإسلام ظاهرة واضحة في قول الله – تعالى – : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [سورة النحل: ١٢٥]، والسنة النبوية كلها تدعو للرفق بالإنسان لا للعنف، وللتيسير والتبشير لا للعسر والتنفير، كما جاء على لسان النبي – عليه الصلاة والسلام – : (يسروا ولا تعسروا)(٢) (وبشروا ولا تنفروا)(٣).

(١) أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٠) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح (١٤/ ٧٢) ، وهو في مجمع الزوائد (٥/ ١٩٢٠)

(٢) سبق تخريجه

(٣) سبق تخريجه

الخاتمه

إن أهم الأمور التي توصلت إليها :

١. قد يكون الجدل محموداً إذا تعلق بإظهار الحق .
٢. الجدل الذي لا يؤدي إلى خير هو الجدل المذموم .
٣. إن وجود الله تعالى مفطور في النفس البشرية.
٤. لم يكن الشرك أصلا في الآدميين.
٥. بطلان عبادة غير الله تعالى – بالأدلة النقلية و العقلية.
٦. على المجادل السلمي استخدام المنهج الملائم مع المخالفين.
٧. استخدام الرسل – عليهم الصلاة و السلام – عددا من الأساليب في الدعوة كالمنهج العقلي و الحسي والعاطفي و غيرها.
٨. إن المخالفين قد وقعوا في خلل من الإيمان بالرسل، فمنهم الغالي و منهم الجافي.
٩. استخدام الرسل – عليهم الصلاة و السلام – الآيات البينات مع المخالفين لإقناعهم.
١٠. إنكار البعث قضية قديمة و مازالت موجودة حالياً عند بعض المخالفين.
١١. من الآيات الدالة على البعث إحياء الأرض الميتة بالماء، إعادة الحياة للقرية التي مر بها الرجل و هي خاوية، بعث أهل الكهف، إحياء ميت بني إسرائيل، إماتة اليهود ثم إحياؤهم مرة أخرى.
١٢. تحدي الرسل – عليهم الصلاة و السلام – لأقوامهم في إثبات الشرائع.
١٣. دحض شبه المخالفين للرسل – عليهم الصلاة و السلام – بالأدلة العقلية و النقلية.
١٤. معرفة اليهود و النصارى القدامى برسالة الرسول عليه الصلاة و السلام .
١٥. إثبات النسخ في الشرائع القديمة.
١٦. نسخ رسالة محمد – عليه الصلاة و السلام – لجميع الشرائع السابقة.
١٧. وجود بعض الدلائل والإشارات على نبوة محمد – عليه الصلاة و السلام – في التوراة و الإنجيل مع كونهما محرفتين.
١٨. زعم أهل الأهواء أن ما هم عليه إنما هو من العلم الموروث.
١٩. الجدال السلمي يأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام العلماء و الناصحين.
٢٠. إن مما ينافي الإخلاص التعصب للرأي و الرغبة في العلو.
٢١. العلم يعد من القواعد و المقومات الأساسية للجدال السلمي.
٢٢. إن المنطق الصحيح في إجراء أي جدال مع الغير هو الاعتراف بالآخر.
٢٣. إن الاختلاف بين البشر سنة كونية.
٢٤. الإسلام أنزل الناس منازلهم.
٢٥. التجرد لطلب الحق منطلق أساسي من منطلقات الجدال السلمي.
٢٦. لا بد من التفريق بين الفكرة و صاحبها.
٢٧. موضوع الجدال هو جوهر عملية المجادلة السلمية.
٢٨. الجدال السلمي يقتضي تحديد نقاط الاختلاف بين المتحاورين.
٢٩. لا بد في الجدال السلمي من الانطلاق من نقاط الاتفاق.
٣٠. وجوب سلامة دعوى المجادل من التعارض.
٣١. يجب تقديم الأدله المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة في الجدال السلمي.
٣٢. إن أهم ما ينبغي أن يتوجه إليه المجادل الالتزام بالرفق و اللين.
٣٣. يجب على المجادل الامتناع عن الإيذاء والسخرية والاستهزاء بالآخرين.
٣٤. مقابلة الرسول – عليه الصلاة و السلام – المخالفين بالهدوء و السكينة.
٣٥. من لوازم المجادلة اجتناب رفع الصوت إلا عند الحاجة إليه.
٣٦. إن تجاهل أحد أطراف المتجادلين يؤدي إلى إثارة الأعصاب.
٣٧. على المجادل عدم مداخلة خصمه أثناء الكلام.
٣٨. الكبر يؤلف جداراً بين المجادل و الآخرين.
٣٩. على المجادل أن يتحلى بالصدق في إيصال الدعوة.
٤٠. إن الأمانة من أهم المبادئ الخلقية التي ينبغي أن يتصف بها المجادل .

المصادر و المراجع

١. الإبانة الكبرى للعكبري – تحقيق : د فوقيه حسن – دار الأنصار – القاهرة – ط١.
٢. أبجدية التصوف الإسلامية – محمد زكي إبراهيم – منشورات ورسائل العشيرة المحمدية – ط٤ – ١٤٠٩هـ.
٣. أحكام القرآن – أبو بكر بن العربي – تحقيق : محمد علي البجادي – ط – عيسى البابي الحلبي – القاهرة.
٤. أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية – تحقيق و تعليق : الصبحي الصالح – دار العلم للملايين – ط٢ – ١٩٨٣ م.
٥. إحياء علوم الدين – أبو حامد الغزالي – ط –دار الفكر العربي – القاهرة.
٦. آداب الحوار – سلمان بن فهد العودة –مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٧. آداب الشافعي و مناقبه – عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي – تحقيق : عبد الغني عبد الخالق – ط – دار الكتب العلمية –بيروت.
٨. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم – محمد بن محمد العمادي أبو السعود – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٩. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية – زياد محمود العاني – دار عمار – عمان – طبعة (١) ١٤٢٠هـ.
١٠. الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار – محمد بن علي الكراجكي – إيران.
١١. أصل الشيعة و أصولها – محمد الحسين آل كاشف العطاء – تقديم : السيد مرتضى العسكري – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– ط٤.
١٢. أصول الجدل و المناظرة في الكتاب و السنة – حمد بن إبراهيم العثمان – دار إبن حزم – عمان – ط٢ – ١٤٢٥ هـ.
١٣. أصول الحوار و أدابه في الإسلام – صالح بن عبد الرحمن بن حميد – دار المنارة – جده – ط١ – ١٤١٥هـ.
١٤. أصول الوصول – محمد زكي إبراهيم – العشيرة المحمدية – جامع البنات بالأزهر – ط٣ – ١٤٠٤ هـ.
١٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن القيم الجوزية – تقديم و تعليق : طه عبد الرؤوف سعد – ط عام ١٩٧٣ م.
١٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم – أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس – تحقيق: محمد حامد الفقهي – مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ط٢ – ١٣٦٩هـ .
١٧. الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر – السيد جلال الدين العمري – تعريب : محمد أجمل أيوب الإصلاحي– نشر الإتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية – ط١ – ١٤٠٤ هـ.
١٨. الأنبياء في القرآن – سعد صادق محمد – دار اللواء – الرياض – ط١ – ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
١٩. البداية و النهاية – إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – دار الفجر للتراث – القاهرة – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٠. تأملات في سورة مريم – حسن محمد باجودة – دار النصر للطباعة الإسلامية – القاهرة – ١٩٧٨ م.
٢١. التبيان في تفسير غريب القران – شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري – تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي- دار الصحابة للتراث - طنطا – القاهرة - ١٩٩٢م.
٢٢. تجربة في تطبيق إستراتيجية التعليم التعاوني في تدريس العلوم – مركز المعلومات والتوثيق لقسم التوثيق التربوي – وزارة التربية والتعليم بدولة البحرين – ١٩٩٦م.
٢٣. تذكرة السامع و المتكلم في آداب العالم و المتعلم – بدر الدين بن جماعة – دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٤. ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك – القاضي عياض اليحصبي – تحقيق د : أحمد بكر محمود – ط – دار مكتبة الحياة – بيروت.
٢٥. التشيع و الإسلام – محمد باقر الصدر – مكتبة الثقافة الإسلامية – ١٣٩٣ هـ.
٢٦. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم – تحقيق : أحمد العماري و غيره – مكتبة الدار – المدينة المنورة.
٢٧. التفسير الكبير – الفخر الرازي – دار إحياء التراث – بيروت – ط ٢.
٢٨. تفسير المنار – محمد رشيد رضا – دار المعرفة – بيروت.
٢٩. تناقض أهل الأهواء والبدع – د. عفاف حسن محمد مختار – مكتبة الرشد – الرياض – المملكة العربية السعودية – ط ٢- ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٣٠. التوحيد – د. عفاف حسن محمد مختار – مكتبة الرشد – الرياض – ط١ – ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.
٣١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب – تحقيق : محمد أيمن الشبراوي – عالم الكتب – بيروت – ط١.
٣٢. جامع بيان العلم و فضله – الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ١٤١٨ هـ.
٣٣. الحجة في بيان المحجة للأصبهاني– تحقيق د. محمد ربيع المدخلي – دار الرايا – ط١ – ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٣٤. الحوار أدبه و ضوابطه في ضوء الكتاب و السنة – يحي محمد زمزمي – دار المعالي - عمّان – ط٢ – ١٤٢٢ هـ.
٣٥. الحوار أصوله المنهجية و آدابه السلوكية – أحمد بن عبد الرحمن الصويان – دار الوطن – الرياض – ط١ – ١٤١٣ هـ.
٣٦. الحوار الذات و الآخر – الدكتور : عبد الستار الهيتي – الكتاب التاسع و التسعون ضمن سلسلة (كتاب الأمة) ط١ – ١٤٢٥ هـ.
٣٧. الحوار في القران – د. سناء محمود عابد – دار الأندلس الخضراء – جدة- ط١ – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٩م.
٣٨. الحوار في قصص إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم دروس و دلالات – الدكتور : محمد الشايع – (بحث مقدم لمؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي) المنعقد في جامعة الشارقة في الفترة (١٦ – ١٨ – ٤ / ٢٠٠٧ م).
٣٩. الحوار من منظور إسلامي – الدكتور : عباس الجراري – المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم الثقافية – الرباط – ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٠. خلق المسلم – محمد الغزالي – دار القلم – دمشق.
٤١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي – دار المعرفة.
٤٢. الدر المنضود في الصلاة و السلام على صاحب المقام المحمود – أحمد محمد حجر الهيتمي – دار المدينة المنورة – ط٢ – ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٤٣. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – طبعة أخرى دار الكنوز الأدبية ١٣٩٩هـ .
٤٤. الدعوة الإسلامية – مدخل وتعريف – د : خليفة حسين العسال – القاهرة – ط١.
٤٥. الرسائل السلفية للإمام الشوكاني– تعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي – دار الكتاب العربي – بيروت– ط١ – ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٤٦. رياض الجنة في الرد على أعداء السنة – الشيخ : مقبل بن هادي الوادعي – دار الأرقم – الكويت.
٤٧. زاد المسير في علم التفسير – أبو الفرج جمال الدين الجوزي – المكتب الإسلامي.
٤٨. السيرة النبوية لإبن هشام – تحقيق و ضبط و شرح و وضع الفهارس : مصطفى السقا و آخرون – شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده – ط٢.
٤٩. السيرة النبوية – عبد الملك بن هشام المعافري – تقديم و تعليق : طه عبد الرؤوف مسعد – ط مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.
٥٠. شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب و السنة – محمد علي الهاشمي – دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤٠٨ هـ.
٥١. شرف أصحاب الحديث – أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي – تحقيق : محمد سعيد الخطيب – دار إحياء السنة النبوية.
٥٢. شطحات مصطفى محمود – الدكتور: عبد المتعال الجبري – دار الاعتصام – القاهرة.
٥٣. صحيح إبن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم و الأنواع) للحافظ إبن حبان – ترتيب : الأمير جلاء الدين أبو الحسن علي بلبان الفارسي – مطبعة المجد.
٥٤. ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة – عبد الرحمن بن حسن الميداني – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٥٥. طباع بني إسرائيل و أثرها في سلوكهم في الوقت الحاضر - مهدي مرعي - رسالة ماجستير – جامعة أم القرى.
٥٦. العقد الفريد – أحمد بن عبد ربه الأندلسي – تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين – المكتبة العصرية – بيروت – ط ١ – ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٥٧. عقيدة الدروز – الدكتور : محمد أحمد الخطيب – دار عالم الكتب – الرياض – ط٣ – ١٤٠٩ هـ - ١٩٧٣ م.
٥٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري – الإمام ابن حجر العسقلاني – دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٩. الفرق بين النصيحة و التعبيير – إبن رجب الحنبلي – تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف – المكتبة القيمية – القاهرة.
٦٠. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام و بيان موقف الإسلام منها – د : غالب بن علي عواجي – الدار المصرية– جده – ط٧ – ١٤٣٠ هـ.
٦١. الفصل في الملل و الأهواء والنحل لابن حزم – تحقيق : د محمد إبراهيم نصر و غيره – دار الجيل – بيروت – ١٩٣١ م.
٦٢. الفقيه و المتفقه للخطيب البغدادي - ط – دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٣. الفكر الديني اليهودي – أطواره و مذاهبه – د : حسن ظاظا – دار القلم – ط٢ – ١٤٠٧ هـ.
٦٤. في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام – د : محمد إبراهيم الفيومي – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧٧ م.
٦٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبد الرؤوف المناوي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط ١.
٦٦. في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – القاهرة – ط١٢ – ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٦٧. القصص القرآني تفسير اجتماعي – الدكتور : راشد البرادي – دار النهضة العربية – القاهرة – ط١ – ١٩٧١ م.
٦٨. الكافية في الجدل – أبو المعالي الجويني – تحقيق: د. فوقية حسين – مطبعة عيسى الحلبي – القاهرة – ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٦٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم جار الله الزمخشري – تصحيح: مصطفى حسين أحمد – دار الريان – القاهرة.
٧٠. محمد – صلى الله عليه و سلم – في الكتب المقدسة – الدكتور : محمد رواس قلعة جي – دار السلام – بيروت – ط٢ .
٧١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية – اختصار محمد الموصلي – مكتبة الرياض الحديثة
٧٢. المدخل لدراسة التوراة و العهد القديم – د : محمد علي البار – دار القلم و الدار الشامية – ط١ – ١٤١٠هـ.
٧٣. مذاهب الإسلاميين – الدكتور : عبد الرحمن بدوي – دار العلم للملايين – بيروت – ط١ – ١٩٧٣ م.
٧٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل – تحقيق : شعيب الأرتووط و آخرون – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٧٥. مع الله – دراسات في الدعوة و الدعاة – محمد الغزالي – دار الثقافة – الدوحة – ط١ – ١٤٠٥ هـ.
٧٦. المفردات في غريب القران – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – تحقيق: محمد سعيد الكيلاني – دار المعارف – بيروت.
٧٧. الموافقات في أصول الشريعة – أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي – ط – المكتبة التجارية – مصر.
٧٨. مقارنة الأديان – د : أحمد شلبي – القاهرة.
٧٩. مقتضى الأثر في النص على الأئمة الإثنى عشر – أحمد بن محمد بن عياش – مطبعة العلوية – النجف – ١٣٨٦ هـ.
٨٠. الملل و النحل للشهرستاني – تحقيق محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
٨١. مناقب أبي حنيفة – الإمام حافظ الدين الكردي – دار الكتاب العربي.
٨٢. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمه و العقل – الشيخ : ربيع المدخلي – الدار السلفيه – الكويت – ط١ – ١٤٠٦هـ.
٨٣. منهج الجدل و المناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد – عثمان علي حسن – دار إشبيليا للنشر و التوزيع – المملكة العربية السعودية – ط – ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٨٤. منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي – صلى الله عليه و سلم – لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل – أ د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي – دار الحضارة للنشر والتوزيع – الرياض – ط١.
٨٥. منهج السلف في العقيدة و أثره في وحدة المسلمين – صالح السحيمي – الرياض.
٨٦. المنهج الصحيح و أثره في الدعوة إلى الله – حمود أحمد الرحيلي –دار العلوم و الحكم – المدينة المنورة – ط١ – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٨٧. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير – د. فهد بن عبد الرحمن الرومي – مؤسسة الرسالة – ط ١٤١٤هـ
٨٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض – ط١ – ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
٨٩. هذه هي الصوفية – عبد الرحمن الوكيل – دار الكتب العلمية – ط٤.
٩٠. اليهودية و المسيحية – د : محمد ضياء الرحمن الأعظمي – مكتبة الدار – المدينة المنورة – ط١ – ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

الفهرس